رسالة
البيان بمعرفة الرحمن
تأليف
العلاَّمة الخبير والفيلسوف القدير
الشيخ يونس علي يونس حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

أبتدئ على خيرة الله تعالى وحسن توفيقه بتأليف رسالة البيان بمعرفة الرحمن ، وهي التي خلقَ الله تعالى من أجلها الإنسَ والجان ، وهذا ما جاءَ إيضاحه في الفرقان، إذ قال عزَّ وجلَّ : وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدونِ*(الذاريات 56)أي ليعرفوني،لأنَّ العبادةَ هنا هي المعرفة بالله

وأنا العبدُ الضَّعيف الفقير ، المقرُّ بالذنبِ والتَّقصير، المستجير الخائف الرَّاجي عفو مولاه العلي القدير يونس علي يونس حسين ، قرية المسقس قضاء صافيتا طرطوس شرعتُ بتأليف هذه الرِّسالة ، وتصنيفها لا أبتغي إلاَّ رضا الله وثوابه وإضاءة طريق المعرفة ، ولو بقبسٍ بسيط، وذلك سنة 1405 هجرية من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، الموافق 1985 ميلادية ، وحسبي هو الذي لا إله إلاَّ هو ربُّ المشرقِ والمغرب لا إله إلاَّ هو فاتَّخذه وكيلا وحسبي الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النَّصير 0

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمدَ إقراراً له بالأحديَّة وطريقاً من طرقِ الاعتراف باللاهوتية ، وثمناً لنِعَمِه المعنويَّةِ والحسيَّة ، وأشهد أنَّ لا إله إلاَّ هو وحده لا شريكَ له في الأزليَّة ، أسُّ الأسوس وشمس الشموس المعنويَّة، صفة الجلال اللاهوتيَّة ، المشهودة بصفةِ اللطف الأنزعيَّة الذات العليَّة، هو هي البازغة أعلامه من شاطئ الوادي الأيمن في البقعةِ المباركةِ القدسيَّة، شجرةٌ مباركةٌ زيتونةٌ لا شرقيَّة ولا غربيَّة ، جلَّ جلالُ جماله، وعمَّ كماله أن تقع عليه صفة الحدوث فيوصف بكيفيَّة، وعلى أن يكون لذاته حدَّاً محدوداً فيُدرَك بأينيَّة ، مبدعُ الجواهر العقليَّة ، وخالق الأعراض الحسيَّة ، صاحبُ المعاجز والقدر الرَّبَّانيَّة 0

فصلوات المعنى الزَّكيَّة، وتحياته المرضية على العقل الأول عرش الجلالة القدسيَّة ، وموقع الأسماء والصِّفات الرَّحمانيَّة ، المبعوث بالنبوَّة والرِّسالة الإلهية، وفاعل سائر المفعولات العلويَّة والسفليَّة بتفويضٍ من الذَّات العليَّة محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم 0

والصَّلاة والسلام على سين السَّلام وكرسي الاسترحام باب الرَّحمة والضِّياء ومشرق النور والسَّناء بحر الأنوار ، ومنبع العلوم والأسرار ، وأمين الملك الجبَّار ، ومنزل الأمطار وزاجر البحار أبي عبد الله سلسل ومن به العارف يتوسَّل 0

وعلى الخمسة الأيتام الكرام ، مصابيح الظُّلم، ومفاتيح الكَلِم، ومن عنهم ومنهم

أشرقت العلوم والحكَم0

والصلاة المعنوية الدائمة الأبدية على المراتب السامية الخمسة آلاف العوالم العلوية والأنوار المضيَّة ، وعلى من يليهم من السبعة المراتب السفليَّة ، صلاة تعمُّهم بالفيوضات الإلهيَّة والمواهب الرَّبانية0

وأفِضْ يا إلهي جوداً ولطفاً غير متناه على جميع هذه المراتب النوريَّة المضيَّة واللطائف العقليَّة والجواهر السَّنيَّة، أفضل الصلاة والتسليم وأعمَّهم ببِرِّكَ العميم ، واجعلنا لهم شيعاً وتبعاً برأفتِكَ ورحمتِك ، إنَّك جوَّادٌ كريم عليٌ عظيم أزل قديم آمين يا ربَّ العالمين0

أمَّا بعد:قوله تعالى: ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاَّ بما شاءَ وسع كرسيُّه السماوات والأرضَ ولا يؤوده حفظهما وهو العليُّ العظيم*(البقرة 255)وإذا شاء عرَّف نفسه لمن شاء، ولله في خلقه شؤون ، وقد جعل الله لكلِّ شيءٍ سبباً، وسببُ هذه الرِّسالة الصغيرة، والعجالة القصير ذلك أنَّه ورد عليَّ أخٌ أثقُ به جاء من استراليا قاصداً طلب العلم والدين، وقد جرت بيني وبينه مذاكرة في بعض ما تشتمل عليه أصول هذه الرسالة فسألني بإلحاح أن أؤلِّفَ له هذه الرِّسالة، فاهملتُ ذلك سنةً كاملة، ثمَّ أعاد عليَّ السؤال بإلحاحٍ ، وطلبَ منِّي إيضاح ذلك ، موجِّها إليَّ كتاباً مع شخصٍ قادمٍ من استراليا فلمَّا لم أجد بدَّاً من ذلك أجبته طمعاً بعفو الله وثوابه لقوله تعالى: وأمَّا بنعمةِ ربِّك فحدِّثْ*(على رأي السيد أبي عبد الله نضَّر اللهُ وجهه متَّبعاً غير مبتدع، مستبصراً واثقاً برأي الشَّيخ الدَّيان وقدوة أهل الإيمان ، وما رواه من علوم آل محمد عليهم الصلاة والسلام، ربَّنا آتنا من لدنك رحمةً وهيئْ لنا من أمرنا رشدا*(وهذه الرسالة عدة أبوابٍ هي:

تمت أبواب الرسالة

الأصول الخمسة للدين الإسلامي والتحدث عنها

التوحيد، النبوَّة، العدل، الإمامة، المعاد

وصفات الله الذاتية التي ذكرها الكتاب وهي:

سميع، بصير، عليم، قدير، منير، مريد، حي، كائن، متكلم

فهذه صفاته الثبوتيَّة

الباب الأوَّل

في معرفة أصول الإسلام الخمس، وما جاء به الشَّارع الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم وهي:

1 – التوحيد:أشهدُ أنَّ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له0

2 – النبوَّة: وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون0

3 – العدل وهو حسن النيَّة بالله والإخلاص له والاعتقاد بأنَّ الله عدلٌ لا يجور(ولا يظلم ربُّكَ أحداً)*(الكهف49)

4 – الإمامة : وهي الأصل الرابع أشهد أنَّ عليّاً أمير المؤمنين ولي الله ووصي رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلَّم والدلالة من الكتاب0

5 – الأصل الخامس المعاد: أشهدُ أنَّ الجنَّة حقٌ والنَّار حقٌ، والقصاص حقٌ وأنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريب فيها ، وأنَّ الله يبعثُ من في القبور وإليه النشور، وأشهد أنَّ الله يجمع الناس ليومٍ لا ريب فيه00

وأمَّا الأصل الأول فهو التوحيد:

وله وجوهٌ عدَّة، وأقسامٌ كثيرة لا يمكن حصرها لكثرتها، وقد اختلفت أوجه التَّعبير في ذلك وسنختارُ منها ثلاثة أقسام تضمُّ أكثر أقوال أهل الباطن، وهي ضد التوحيد، والفضل ما شهدت به الأعداء0

وإذا عرف السَّالك الباطل وتجنَّبه، وعرِف الحقَّ واتَّبعه فقد صار بعون الله على سبيل النَّجاة، كما قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، وهو ما أورده العلاَّمة الشيخ سليمان الأحمد قدَّسه الله الفرد الصمد : أللهمَّ أرنا الحقَّ حقَّاً وأرزقنا اتباعه ، وأرنا الباطلَ باطلاً وأرزقنا اجتناه0

اعلموا إخواني إنَّ التَّوحيد على ثلاثة ضروب:

1 – توحيد الله عن خلقه: وهو تفريده وتنزيهه عن صفاتهم ونعوتهم0

2 – ادعاء أصحاب وحدة الوجود : توحيد الخالق والمخلوق شيءٌ واحد، ويزعمون بذلك التوحيد0

3 – توحيد الله في خلقه: وهم أصحاب الحلول الذين يعتقدون أنَّ الله في كلِّ شيءٍ (عين ذلك الشيء وحقيقته)0

ونؤجِّل بحث التَّوحيد لنجعله ختامَ الظاهر وفتوح الباطن لأنَّه تمام المعرفة وغاية القصد، ولم يخلق الله العباد إلاَّ لأجل معرفته وتوحيده والحمدُ لله العلي وحده 0

الأصل الثاني هو الرسالة

وهي الشَّهادة لله بالا حديَّة ، والشَّهادة بانَّ محمداً عبده ورسوله، كما قال الله تعالى بكتابه العزيز:محمدٌ رسول الله والذين معه أشدَّاء على الكفار رحماء بينهم* (الفتح29)

وقوله جلَّ وعلا : وما محمدٌ إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبلِه الرُّسُل أفإن مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم*(آل عمران 144) وقوله تعالى: يس والقرآن الحكيم إنَّكَ لمِنَ المرسَلين *(يس 2/1)

ويجب علينا بيان قول النَّاصبة وما تعتقده في الرسول:

وأمَّا الناصبة وبيان قولها واعتقادها: بأنَّ محمداً بشرٌ مثلهم وكان يحبُّ النِّساء حبَّاً شديداً ، وقد نسبوه إلى السِّحر والكهانة، وقد قال تعالى جلَّ وعلا مخبراً عمَّا في ضمائرِهم : ولو نزَّلنا عليكَ كتاباً في قرطاسٍ فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلاَّ سحرٌ مبين*(الأنعام7)

وقد اتَّهم العربُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم بالسحر كما اتُّهِمَ سائرُ الرسل الماضين، وكان أشد من اتَّهمه بالسحر وكذَّب رسالته بنوا أميَّةَ لعنهم الله ، وهم النواصب الذين ذمَّهم الله في كتابه فقال تعالى: عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حامية*(الغاشية4/3) وقالوا إن هو إلاَّ بشرٌ مثلنا ، وقد كانوا يرونه ضعيفاً وقالوا: وما نراك إلاَّ ضعيفاً*(وكان الأمويون أشدَّ عداوةً وبغضاً للرسول ولآل هاشم الكرام عليهم السلام ، وقد قام أبو سفيان لعنه الله بحرب بدر وهما واقعتان، وهما واقعة بدرِ الكبرى، وبدرِ الصُّغرى حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد كانَ النِّزاع والخصومة بين الأمويين والهاشميِّين أشهر من أن يخفى ، وإلى وقتنا هذا لا تتخلَّى السُّنَّة عن حبِّ الأمويين ، والميل إليهم وتسير سيرهم وتقتفي إثرهم، ولم يدخلوا في الإسلام إلاَّ لضربه من الدَّاخل ، وتحوير مبادئه ، وقد كانوا يأملون الرُّجوع إلى عبادة الأوثان بعد غياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، هذا هو الإسلام عند النواصب ، والإقرار بالرسالة دون الإمامة بعلي، وانَّه الإمام والوصي بعد الرسول0

وأمَّا الشيعة الإماميَّة

فإنَّهم يقرون بالرسالة لمحمد، والإمامة لعلي من الله ، ويوردون الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: كنتُ أنا وإياكَ يا علي نوراً نسبِّحُ الله ولا مسبِّح ثم أجرى اللهُ ذلك النور في صلب آدم ، فلم تزل تنقلنا

الأصلاب الطاهرة والأرحام الزَّكية إلى أن ولدتُ أنا من عبد الله وأنتَ من عبد مناف 0

ويروون أيضاً : أنَّه لما خلق الله آدم نظر إلى سرادق عرش الله فرأى أشباحاً فقال: يا ربَّاه هل خلقتَ خلقاً قبلي؟فقال:

تأدَّب يا آدم أنا المحمود وهذا محمد وأنا العالي وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا المحسن وهذان الحسنان، هؤلاء صفوتي من خلقي، وقد اشتققتُ لهم أسماءً من اسمي ، آليتُ بعزَّتي وجلالي ما آتاني أحد بمثقال ذرة من محبَّتهم إلاَّ أدخلتُه الجنَّة ، ولا آتاني أحدٌ بمثقال ذرَّة من عداوتهم إلاَّ أدخلتُه النار0

ويجمعون على أنَّ محمداً هو العقل الذي قال الله تعالى له: أقبلْ فأقبلَ ، ثم قال له أدبرْ فأدبرَ ، ووهبه محاسن الصفات ومع ذلك يجرون عليه ما يجري على الخلق من الولادة والزواج والموت وما أشبه ذلك ، فهذا رأي الشيعة الإمامية ، وقد يقولون بالعصمة أي عصمة الأئمَّة الاثنى عشر 0

وأمَّا رأينا: الذي هو الحق المأخوذ عن أهل العصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام المعصومين من الخطأ والنسيان ، والسهو والزلل لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم قولهم الفصل، وحكمهم العدل فإليكَ قول أهل البيت الشُّعيبي في الأصل الثاني الذي هو الرسالة:

فلمَّا أجمع كافة المسلمين أنَّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يرى له نجوء (نجاء) ولم يبن له – في شمس ولا قمر – ظلٌّ علمنا أنه نور ، وليس هو من جنس البشر ، إذ لو كان ذا جسمٍ كثيف لبان ظلُّه في الضياء0

وقد استدللنا على انَّه ليس من البشر وعالم الكدر بقول العالم العليم العلي العظيم أمير المؤمنين منه الرحمة قال: وهو ما أورده أبو الحسن محمد بن شعبة الحرَّاني قدَّسه الله في كتاب تحف العقول هذا ما جاء في خطبة الغدير يوم حجة الوداع قوله:

واختصَّه من تكرَّمه بما لم يلْحقْه فيه أحدٌ من بريَّته ، وهو أهل ذلك بخاصَّته وخلته إذ لا يختصُّ من يشوبه التغيير ولا يلحقُه التنظير0 هذا قول الإمام والحجة على الأنام000

فقوله: من لا يختص من يشوبه التغيير ، إذ لو كان بشراً لكان متغيِّراً لانَّ عالم البشر حادث وكل حادث متغيِّر ومركب من عناصر عدَّة ، فإذا ذهب عنصر واحد تغيَّرت بقيَّة العناصر تغيراً جذريَّاً ، وعالم المادة مركَّبٌ ومحلول والتركيب والتحليل مشهور في علم الكيمياء ممَّا لا حاجة لنا به0

وأما قول مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة: ولا يلحقه التنظير : دليل على أنَّه ليس له نظير في رتبته لأنه نور ، والنور غير متغيِّر ولا متبدِّل ولا داخل في عالم المتسلسل علَّةَ بعد علَّة وسبب بعد سبب المشار إليه بقوله تعالى: ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طين* ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين* ثم خلقنا النطفة

علقةَ فخلقنا العلقة مضغةَ فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخرَ فتبارك الله أحسن الخالقين*(المؤمنون 14/11)جلَّ رسول الله خير الأنام صلى الله عليه وآله وسلم عن السلوك في ظلمات الأرحام 0

وخبر المعراج الشريف يثبتُ إثباتاً قاطعاً أنَّ الرسول الأعظم ليس جسماً بشريَّاً ذا لحمٍ ودم لأنَّه حين صعدَ صلى الله عليه وآله وعرج إلى السماء السابعة وذلك بإجماع كافة المسلمين إلاَّ المعتزلة وست فرقٍ معها وهي اللبدية والجهمية والبترية 000

وإنَّه كلما وصل إلى سماء يكبر ويصلي بأهلها فيزيده الله سبعين نوعاً من النور ، إذ لو كان بشراً لما زاده الله نوراً لأنَّ النور ليس من جنس البشر، ولم يهبه الله ما ليس من طبيعته إلى أن وصل إلى حُجُب اللاهوت فزجَّه جبرائيل ببابها وتأخر عنه فقال له النبي الكريم: حبيبي يا جبرائيل لمَ تأخرتَ عني، فقال له جبرائيل: يا رسول الله إنَّ هذه الحجب التي دخلتها لم أدخلها ولم يدخلها ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبي مرسل ولم يدخلها أحدٌ غيرك، وإنِّي متى تجاوزتُ مقامي عقداً واحداً حرقتُ بنور الجبَّار0

فثبتَ عقلاً ونقلاً أنَّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم نور لا بشر ، ولو لم يكن نوراً لم يدخل حجب اللاهوت ، وهو العقل الأول ، والعقل نور ، هذا ومن جهة الأخبارِ المتواترة أن الله عزَّ وجلَّ قبض قبضةً من نور وجهه وقال لها كوني حبيبي محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا ما أجمع عليه كافة المسلمين، فإذا كانت نفسه الزَّكية لمعةً بدت من نور جلالة الله القدسية جلَّت وعلت عن الرسوب في عالم الحضيض والأغيار المادية فقال: إنَّما أنا بشرٌ مثلكم ، مماثل لكم بالصورة الآدمية ، وقد انعكست الأبصار على صفاء نوره كما تنعكس عند مقابلتها للأجرام الصقيلة والمرآة الصافية ، فإذا كان أفضل من جبرائيل وميكائيل وحملة العرش والملائكة المقربين فقد ثبت له النورانية وانكشفت عنه أكدار الطِّينة البشرية 0

فإذا كان الله من نور ذاته أبداه فلا يحلُّه في مَنْ مبدأُه نطفة مذرةٌ وآخرُه جيفةٌ قذرة، بل إنما أبدعه وأبداه ليجري على يديه العلم والقدرة0

*

الأصل الثالث: العدل

والنصُّ عليه من آي الذكر الحكيم قوله عزَّ وجلَّ:وما ربُّكَ بظلاَّمٍ للعبيد* (فصلت46)وقد نزَّه نفسه عن ظلم العباد فقال وهو أصدق القائلين : وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون *(النحل118)والقول في هذا الأصل واسع وهو على ثلاثة ضروب:الجبر، والتفويض، ومنزلة بين منزلتين0

فاهلُ السنَّة:منهم الفئات الجبرية والقدرية0

والشيعة الإمامية: منهم المفوَّضة0

ونحن أهل التوحيد: منزلة بين منزلتين، وهذا ما جاء إيراده بالنقل الصحيح

عن مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة عن القضاء والقدر فقال: ذلك أمرٌ مظلمٌ فلا تلجوه ، وطريقٌ وعرٌ فلا تسلكوه0 وأبان أنَّ القضاء والقدر هو الحكم القاطع كقولك: كلُّ مولود فهو إلى الموت، والقدر إنَّما هو تعيين التنفيذ لهذا القضاء وتوقيته، لقوله عزَّ وجلَّ : يمحو الله ما يشاء ويثبتُ وعنده أمُّ الكتاب*(الرعد39)ولمِ يكن الله يجبر العباد على طاعةٍ ولا على معصية ، ولكن أمر تخييراً ونهى تحذيراً ولم يُطَع مكرهاً ولم يُعصى مغلوباً، ولكن أمرُ بين أمرين لا جبر ولا تفويض

وقد روي عن مولانا الصادق الوعد منه الرحمة وهو ما أورده الطبري في مناظرة علماء العصر العباسي للمأمون وهم: الشعيبي والسبيعي وأبو إسحاق في هذا الأمر 0

فقال أحدهم: أمَّا أنا أقول كما قال الإمام أمير المؤمنين منه الرحمة: أتظنُّ أنَّ الذي دهاك نهاك، إنَّما الذي دهاكَ أسفلكَ وأعلاك، والله ربُّكَ بريءٌ من هذا وذاك (أي فرجكَ ولسانك)0

وقال أحدهم كقول أمير المؤمنين:أيدلُّكَ على الطريق ويأخذ عليك المضيق؟

وقال الآخر:وأنا أيضاً أقول كما قال أمير المؤمنين منه الرحمة: كلُّ ما حمدت الله عليه فهو منه، وكلُّ ما استغفرتَ اللهَ عليه فهو منكَ0 فقيل لهم: أما والله لقد أوردتموها من عينٍ صافية0

وسئل مولانا الإمام الصادق منه السلام وهو ما أورده حجة عصره العالم الفاضل أبو الحسن محمد بن شعبة الحرَّاني قدسه الله في كتاب تحف العقول حين سئل: هل جبر الله العباد؟ فقال: هو أعدل من ذلك ، والعدل نفي الظلم عن ذات الباري وضد الظلم، والعدل إعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه ومحاسبة كل امرئٍ عما اقترفه حسنة كانت أم سيئة ، وبالعدل يُنفى الجبر والتفويض، لأنَّه لو جبر الله العباد على الطاعة والمعصية لما جاز في قسطاس العدل أن يجزي المحسن على إحسانه ولا المسيء على سيئاته لأن الإرادة الذاتية مفقودة من المرء حين لم يفعله بمحض اختياره ولا يعاقبه على عملٍ عمله إلاَّ أن يكون عمله باختياره، ولو فوَّض إليهم أمرهم لكانت العقوبة خارجةً عن نطاق العدل 0

مثال ذلك: لو أعطيتَ ولدكَ قطعة من النقود ليصرفها كيف يشاء فليس من العدل أن تحاسبه على صرفه وتصرفه، وقد أعطيتَ له الحريَّة في تصرفه، وإنَّما كان الأمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض 0

وسئلَ مولانا علي الهادي منه السلام والرحمة عن المنزلة بين المنزلتين فقال: هي الاختبار والمحنة0

وعن مولانا الصادق منه الرحمة حين سئل قيل له: هل فوَّض إليهم ؟ فقال: هو أعز واقهر من ذلك، وروي النَّاس في القضاء والقدر على ثلاثة أوجه:

– رجلٌ يزعم أن الأمر مفوضٌ إليه فقد أوهن اللهَ في سلطانه فهو هالك0

– ورجلٌ يزعم أن الله عز وجل أجبر العباد على المعاصي وكلَّفهم مالا يطيقون فقد ظلمهم الله في حكمه فهو هالك0

– ورجلٌ يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمِد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ0

وقيل: إنَّ القَضاء والقدر المنسوب لله فعله، فالقضاء : هو الحكم الإلهي الكلي في أعيان الموجودات ، وعلمه السابق بها على ما هي عليه في الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد 0

وممَّا قيل في القضاء والقدر محتمة ومبرمة:

فالقضاء: علم جميع الموجودات في اللوح المحفوظ0

والقَدَرُ: وجوهٌ متفرقةٌ واحدةٌ بعد واحدةٍ ، ومن أوجه القضاء والقدر أنَّ العوالم ثلاثة:

- عالم الملائكة والعلوم المجردة: مخيرون بالعقل والحكمة0

– وعالم الإنسان أمرٌ بين أمرين : التخيير بالعقل، ومن تجبُّرِه شهوتُه، فأجلُّ ما قيل عن مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة: أيها الناس أنتم مدينون اختياراً ومربوبون اقتساراً، فبهذا الواقع أبان الرتبة الوسطى بين التخيير بالأفعال بما أعطى الإنسان ووهبه من القوة الاستطاعية المعطاة له ، وجعله مجبراً بالعقاب عليها ، فمخيَّر بما وهبه الله من أنعامه(طرف التخيير) ومجبرٌ لا يقدر على الامتناع حين سلبها منه وحال لما كان عليه00

وعالم الحيوان: شهوةٌ بلا عقل تسوقه شهوته كما قال الأمير حسن بن المكزون قدَّسه الله :

قلتُ مولاي من العدل اعفِني وارضِني بالفضلِ ممتنَّاً عليِّ

والفضل لله على عباده: ولكنَّ اللهَ ذو فضلٍ على العالمين*(البقرة 251)وأقرَّ بفضل الله وجوده وإحسانه وكرمه ورضوانه ، ورتبة الإحسان شاملة0

وقد قال بالعدلِ: ولو يؤاخذ اللهُ الناسَ بما كسبوا ما تركَ على ظهرها من دابَّة* (فاطر45)ونسألُه العفو عن سيئاتِ أعمالنا وأن يوفقنا لطاعته ورضاه إنَّه غفورٌ رحيم عليٌّ عظيم0

فهذا هو طريق النجاة في الحياة والممات، وقد قال مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة : التوحيد أن لا تتوهَّمْه، والعدل أن لا تتهمْه، أي لا تسيء بالله الظنَّ وتتهمْه بفعلٍ غير الواجب مثل الجبرية والقدرية وما أشبه ذلك وهو أرحم الراحمين0

الأصل الرابع: الإمامة

والنصوص الواردة في هذا الأصل واسعة، غزيرة ، وهي شهادة أنَّ علي أمير المؤمنين إمام المسلمين، ووصي رسول ربِّ العالمين، وبنوه المعصومين حججُ الله على العالمين عليهم سلام الله أجمعين، وقد وقع النصُّ على ذلك من كتابِ الله ، وما جاءَ به حقٌّ منزَّلٌ على كلِّ نبيٍّ مرسلِ ، ومن خالف حكم الكتاب مبطلاً ولا

يجوز الاجتهاد على كتاب الله ، ولا يجوز تأويل الكتاب بالرأي والقياس لقوله تعالى: وما يعلمُ تأويلَه إلاَّ اللهُ والراسخون بالعلمِ يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربِّنا*(آل عمران 7) ومن كتاب مشارق أنوار اليقين للبرسي رحمه الله قال رجلٌ للإمام الصادق منه الرحمة:اخبرني لماذا رفع النبيُّ عليّاً على كتفه؟ قال: ليعرف الناسُ مقامه ورفعته0 فقال: زدني يا ابن رسول الله 00 قال: ليعلم النَّاس أنَّه أحق بمقام رسول الله 00فقال زدني00 قال: ليعلم الناس أنه الإمام بعده والعلم المرفوع0 فقال: زدني00 قال: هيهات والله لو أخبرتُكَ بكنه ذلك لقمتَ من عندي وأنتَ تقول أنَّ جعفر بن محمد كاذبٌ في قوله أو مجنون0 وتمام هذا الخبر رواه أبو صالح الديلمي قدَّس الله روحه في رسالته هداية المسترشد وسراج الموحد وهو قوله:أنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يحج لأول مرة وقد كان على ظهر البيت وقتئذٍ عدة أصنام فقال السيد الميم صلى الله عليه وآله وسلم اصعد يا علي وارم هذه الأوثان عن البيت، وعلو البيت أربعون ذراعاً فانحنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام أمير المؤمنين ، وصعد أمير المؤمنين على كتف رسول الله ، ثم قام رسول الله، وصعد أمير المؤمنين على ظهر البيت ورمى الأوثان فوزنت كفُّ هبُل فكان ثقلها تسعة أمنان والمن يقارب الرطل الحلبي أي نحو ثلاثة كيلوات في وقتنا هذا ، فكانت هذه المعجزة وصعود أمير المؤمنين على كتف السيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبباً لنزول الآية الكريمة قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى* له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثَّرى*(طه6/5)فالرحمن أمير المؤمنين والعرش السيد محمد ، استواؤه عليه: اعتلاؤه عليه، وصعوده على كتفه ورفعته، ولما أراد النزول وهو على ظهر البيت والناس ينظرون قال: مولانا أمير المؤمنين مخاطباً البيت: أيها البيت إنَّ فوقكَ من بيده مقاليد السماوات السبع غور أيها البيت، فغار البيت في الأرض حتى ساوى سطح الأرض، ثمَّ خطا مولانا أمير المؤمنين خطوةً على الأرض ، ونظر إلى البيت وهو غارقٌ في الأرض فقال له: أيها البيت عُدْ كما كنت فقد عتقتُكَ، فسمي بعد ذلك البيت العتيق، وهو كالعبد الذي أعتقه سيده ومولاه، وكانت هذه المعجزة مثال وسبب نزول الآية الكريمة قوله تعالى: فلمَّا تجلَّى ربُّه للجبلِ جعله دكَّاً وخرَّ موسى صعِقاً * (الأعراف 143)والجبل جسم موسى، وموسى هو محمد (ص)والجبل هو جسم موسى ومنه روح الباب0

وقال الشيخ رجب البرسي صاحب كتاب مشارق أنوار اليقين بذلك شعراً0

عرجَ المصطفى إلى أوج السما
والمرتضى على كتف الهادي علا
أيها المنصف أنصف بيننا أي معراجيهما أعلى عُلا

وروي أيضاً في كتاب مشارق أنوار اليقين عن الحسن بن محبوب عن جابر بن عبد الله الأنصاري عليه السلام عن أبي عبد الله علينا منه الرحمة عن رسول

الله (ص) أنَّه قال لعلي علينا من ذكره السلام والرحمة: يا علي أنتَ الذي احتجَّ اللهُ بك على الخلائق حين أقامهم أشباحاً في ابتدائهم وقال لهم: الستُ بربِّكم قالو بلى* (الأعراف 172)فقال: ومحمد نبيكم قالوا بلى، قال: وعلي إمامكم: قال: قال فأبى الخلائق جميعاً عن ولايتكَ والإقرار بفضلكَ وعشوا عنها واستكبروا استكبارا إلاَّ قليلاً منهم وهم أصحاب اليمين وهم أقل القليل ، كما جرى ذلك في يوم حجة الوداع وذلك مشهور في كتب أهل التاريخ عند الخاص والعام، فأمَّا العامة ما أورده محسن فيض الله الكاشاني الملقب بالصَّافي في شرح القرآن أيضاً والطبري في تاريخه وبولص سلامة في ملحمته وغيرهم من الكتاب0

وأخبار الغدير كالشمس في رابعة النهار لا ينكرها إلاَّ أعمى البصر ، وممَّ أنكرها أنس بن مالك لعنه الله لما كان مولانا أمير المؤمنين في أحد أيام صفين قام قائماً وقال: أيها الناس أنشدكم الله ورسوله ألا من حضر الغدير فليقم0 فقام عدة رجال وفيهم أحد عشر رجلاً بدريَّاً ممن حضروا غزوة بدر وقالوا: والله لقد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه000

فقال مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة: ما بالكَ يا انس لم تقم أما حضرتَ الغدير؟ فقال بلى يا أمير المؤمنين ولكن كبر سنِّي فنسيتُ ذلك0

فقال له الإمام : إن كنتَ كاذباً ضربكَ الله بها بيضاءَ لا تواريها العمامة000 فأصابه البرصُ لوقته وساعته ، فكان بعد ذلك إذا قيل له ما بكَ يا انس؟ فيقول : أصابتني دعوةُ العبدِ الصالح0

وسنوردُ طرفاً من ذكر الغدير عن أهل العام والخاص وهو ما أورده أبو سعيد قدَّسه الله في كتاب المجموع من أخبار الغدير أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أوشكَ أن أُدعى فأُجيب ولن أحجَّ فيكم بعد عامي هذا: وذلك سنة إحدى عشرة هجرية فسار النبي من مكة بعد أن قضى مناسك الحج قاصداً المدينة حتى توسَّط الطريق بين مكة والمدينة المنورة، وفي سبعة عشر من ذي الحجة نهار الخميس بعد صلاة العصر أنزل الله عليه : يا أيها الرسول بلِّغْ ما أُنزل إليكَ من ربِّكَ * (المائدة)قال رسول الله الأعظم ما أبلِّغُ وقد تمَّ الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد فأتاه جبرائيل ليلاً وقال له بلِّغ في حقِّ علي0 قال الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم: إن لعلي دماء في بطون العرب من يوم بدر وحنين وغيرها فإنَّهم لا يرضون بذلك فأنزل الله عليه : يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزلَ إليكَ من ربِّكَ وإن لم تفعل فما بلَّغتَ رسالته والله يعصمُكَ من الناس *(المائدة67) وفي أول صلاة الجمعة ضحى النهار أصلح منبراً من دويحات الأشجار ، وقيل جُمِعَت له أقتاب الجمال ، وأخذ بعضد أمير المؤمنين ، ورفعه للناس علماً وقال: هذا إلهكم فاعبدوه ، هذا عليٌّ بارئكم فاعلموه، هذا عليٌّ خالقكم فأطيعوه، هذا عليٌّ ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين،فاضطرب لذلك الإنس والجان ، وعمَّ بصوته وندائه جميع خلائق الله من الملأ الأعلى وهم الملائكة المقربون ومن الثقلين الإنس والجن ووعى ذلك الحيتان

في قعر البحار السبع والطير في الأوكار والهوام والدواب ، والوحوش في الغياض والآكام والآجام فكانوا لذلك النداء ووعْيِهِ وسمعِه أذناً واحدةً ، وعمَّ ذلك كلَّ ذي روح ناطقٍ وكلَّ، ذي حسٍّ وحركة فاضطرب لذلك الإنس والجان فأنساهم الله ذلك وسمعوا قوله: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألا إني تاركٌ فيكم الثَّقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ألا إنَّه أنباني اللطيف الخبير أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ألا إنَّ عليَّاً إمامكم ووليكم من بعدي 0

وقد اشتهرت خطبة الغدير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تربوا على ثلاثين صحيفة، وتوجد في محلِّها مثل الصافي للكاشاني، وشرح القرآن للجراني، وغيرهم من أصحاب الحديث0

وأيضاً ما رواه البرسي في مشارق الأنوار رحمه الله أنَّ رسول الله (ص) كان يقول للملأ من قريش قولوا: أشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله فيشهدون، ثم يقول صلوا على هذه النيَّة فيصلون0 ثم يقول: صوموا رمضان في الهواجر، فيصومون، ثم يأمرهم بإخراج الزكاة فيخرجون0 ثم يقول : حجوا واعتمروا، فيحجون ويعتمرون، ثمَّ يدعوهم للجهاد وترك الأولاد والحلائل، فيجيبون ، ثم يقول: إنَّ عليَّاً وليكم من بعدي، فيعرضون ، فيناديهم بلسان التوبيخ وهم لا يسمعون : قل هذا نبأٌ عظيم أنتم عنه معرضون، وبذلك أنزل قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

عمَّ يتساءلون عن النَّبأِ العظيم *(النَّبأ 2/1)وقال مولانا أمير المؤمنين جلَّ جلاله: ما لله آيةٌ هي أكبر مني، ولا نبأ هو أعظم مني0 وقال بعض الشيعة:

هو النبأ العظيــــم وفلكُ نوح   وباب الله وانقطع الخطاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّ مثلَ أهلِ بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غوى0

يؤيد ذلك خبر الحارث بن نعمان الفهري لعنه الله وهو مشهور، وهو ما أورده السيد أبو سعيد قدس الله روحه في كتاب مجموع الأعياد : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا صرَّح يوم غدير خم وقال: اللهم من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، فقام الحارث بن نعمان الفهري وقال: يا محمد قلتَ لنا: اشهدوا أن لا إله إلاَّ الله فشهدنا وقلت لنا صلوا خمساً، فصلينا ، وقلت لنا حجوا فحججنا، فما كفاك ذلك حتى أخذت بعضد ابن عمِّكَ ورفعتَه وفضَّلتَه علينا ، هل هذا هو من عندِكَ أم من عند الله ؟ فقال الرسول الأعظم(ص) لا بل من عند الله 0 فقام الفهري مغضباً وقال:اللهمَّ إن كان محمداً كاذباً فانزل عليه نقمتَكَ عاجلاً غير آجلٍ ، وإن كنتُ كاذباً فأنزلْ بي نقمتَكَ عاجلاً غير آجلِ ، وركب كور ناقته وأراد المسير فنزلت به النَّقمة وضربه الله

بحجرٍ فنزلت على أمِّ رأسه فخرجت من أسفل دبره فسقط ميتاً ، فانزل الله به الآية الكريمة قوله تعالى: سألَ سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليس له دافع*(المعارج2/1) فكل من أنكر ولاية أمير المؤمنين عليٍ فهوَ كافر وعذاب الله به واقع وليس له عنه من دافع0

ومما روي في كتاب مروج الذهب للمسعودي ، وغيره عن غزوة الحصن أنّ الكافرين أغلقوا الحصن وعمل المسلمين المنجنيق ووضعوا به حجراً ورموا به الحصن فوصلت على مقربةٍ من وسط حائط الحصن فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الثاني قال أمير المؤمنين علي منه الرحمة : ضعوني في كفَّة المنجنيق فوضعوه بها وقُذف به فلم يصل، فصعد وسار وخطا في الهواء حتى وصل فوق الحصن وتربَّع في الهواء وسيفه ذو الفقار في يده فلما رآه المشركون على هذه الحالة ذعروا وأرادوا الخروج حين نزل أمير المؤمنين في أواسطهم ، ونالهم من ذلك الرعب الشديد، وكان ذلك سبب نزول الآية الكريمة في أوَّل سورة الحشر وهي قوله تعالى: هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنُّوا أنَّهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيثُ لم يحتسبوا وقذفَ في قلوبهم الرعبَ يخرِّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار*(الحشر2) ولم يأتهم في ذلك الوقت غير مولانا أمير المؤمنين فشهد له نبيُّه أنَّه الله 0

فلما نزل أمير المؤمنين في وسط الحصن صار الكافرون يخربون الحصن كي ينجوا من الموت ، والمؤمنون يخربون الحصن من جهة للقضاء على الكافرين، وللحصول على الغنائم ولولا الإمام علي من هو القادر على أن يخطو في الهواء، وينصر الدين هذا النصر المبين، فويل للناكرين إمامة أمير المؤمنين والمشركين بإمامته من عذاب يومٍ عظيم فأقول عقلاً وشرعاً ونقلاً كما أن ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شريك في النبوة والرسالة، كذلك ليس لعلي شريك في الإمامة والولاية، وإنَّ الله ورسوله وكتابه يبغضان الشرك في الدين ، فإن لم يكونا رسولين ولا كتابين فلمِ جُعِلَ الخلفاء أربعة ؟ فإن علمنا هذا ليس من قبل الله بل من قبلهم ، إذ ليس من قبل الأحد إلاَّ واحد ولقد قال الله في كتابه: يوم ندعوا كلَّ أناسٍ بإمامهم*(الإسراء 71)، وقد ذكر الله الإمام بالفرد ، ولم يقل بإماماتهم ودل على جماعة0

وقال الله تعالى لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنِّي جاعلكَ للناسِ إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين*(البقرة 124)وقوله تعالى: وكلَّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين*(يس12) وهو أمير المؤمنين، هذا وإننا لم نأت بحديثٍ عن رسول الله (ص) إلاَّ والآية الشريفة نزلت في عقب الخبر،والحادثة والخبر المشهور هما السبب لنزول الآية الشريفة، وإليكم يا إخواني هذا الخبر وهو خبر غزوة الخندق حين اجتمع المشركون وكانوا أكثر من تسعين ألف ، وفيهم

عمرو بن ود وغيره من فرسان المشركين البالغين سبعة عشر فارساً ، وكل فارس يكنَّى بأربعين ألف فارس، فشار سيدنا سلمان الفارسي عليه السلام بحفر الخندق حول المدينة ، فلما اجتاز عمرو بن ود الخندق ونادى بجيوش المسلمين للمبارزة قال رسول الله : أين من يحب الجنَّة فيبرز إليه؟فلم يجبْه أحدٌ من المسلمين فقال علي أمير المؤمنين منه الرحمة وهو يومئذٍ غلامٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا له يا رسول الله 0

قال له رسول الله: هذا عمرو يا علي0 فقال علي: أنا له0 ثم برز الإمام أمير المؤمنين منه السلام لعمرو بن ود، فلما برز إليه قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: برز الإيمان كلُّه للشركِ كلِّه ، وذلك قوله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبِط عملُه وهو في الآخرة لمن الخاسرين*(المائدة5) فلولا علي أمير المؤمنين وقتله عمرو بن ود ، وإفلاله جيوش المشركين لانقرض الإسلام ولم تكمل الرسالة ولم يكن بعدها مسلم مؤمن ، فإنَّ الأشياء مقرونة بأسبابها ، فلولا جهاد علي لم يبقَ مؤمنٌ يؤمن بالله ، ويشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله 0

إذن إنَّ لعلي ثواب إيمان المسلمين بأسرهم من وقتئذٍ إلى يوم البعث والنشور وفي ذلك يقول الرسول الأعظم (ص) إنَّ ضربة علي لعمرو بن ود تقابل أعمال أمتي إلى يوم القيامة0

ولو أردنا أن نعدِّدَ مناقب الإمام الأعظم منه الرحمة لكان كما قال الله: لو كان البحر مداداً لكلمات ربِّي لنفذ البحر قبل أن تنفذَ كلماتُ ربِّي ولو جئنا بمثله مددا* (الكهف109)

ونعدل عن ظاهر القول الذي يثبت الباطن ويدلُّ عليه إلى حقيقة الباطن والسر الخفي وقد قال الله تعالى:قال ربِّ اجعلْ لي آيةً قل آيتكَ ألاَّ تكلِّمَ الناس ثلاثة أيَّامٍ إلاَّ رمزاً واذكر ربَّكَ كثيراً وسبِّح بالعشيِّ والإبكار*(آل عمران41)

قال الشاب الثقة: الأيام الثلاثة، الفطر والأضحى والغدير، فالفطر مثالٌ للذرو الأول ، والأضحى الإشارة به إلى قيام الساعة، ونهاية مدَّة النشأة، والغدير تذكيرٌ بسابقة الإجابة في الذرو الأول 0

ولنرجعْ إلى ذكر ما نحن به من إثبات الإمامة لمولانا أمير المؤمنين ، ووجوب عصمته لأنَّ الخطأ والصواب واقعٌ في أفعال وأقوال غير المعصوم ، وهذا يوقع الناس في الخطأ والصواب ، والحكمة الإلهية تقتضي أن يكون من يأتي بعد الرسول معصوماً ، وهذا هو الإمام وأئمتنا عليهم السلام هم المعصومون بأقوالهم وأفعالهم ، وهم وحدهم الذين يعرفون سرَّ الدعوة المحمديَّة ، وقد كانت لهم مجالس عامة، ومجالس خاصة0

فالمجالس العامة: كان يردها كل وارد كالشيعي والسني والمعتزلي والمرجي وكان قولهم كلمة الحق ، ولكن لهم وحدهم المخرج منه 0

وأمَّا المجالس الخاصة: فكان صلوات الله عليهم يعطون سرَّ الدعوة المحمديَّة

لخاصتهم لانَّ العلم يُعطى على قدر استحقاق الشخص الملقى عليه العلم ، فنضرب لذلك مثلاً لا يعطى طالب الأول الابتدائي مثل ما يعطى طالب الإعدادي لأنه لا يعقله ولا يتحمَّلُه ، وهكذا كانوا يفعلون ويعطون كلَّ امرئٍ بحسب طاقته واستطاعته 0

وشيخنا السيد أبو عبد الله صلوات الله عليه أخذ أصول رسالته من أقوال الأئمة عليهم السلام التي لقنوها لخاصة الخاصة بواسطة أمناء سر الله ، وقد أعطاها شيخنا لتلاميذه ثم انتشر هذا الدين بين أهل الولاية إلى أن كنا والحمد لله ممَّن تشرَّف به وآمن وصدَّق ، فهو سبيل النجاة، وما أتى به هو سرُّ الأسرار وغاية ما وصل إليه أهلُ الإقرار من معرفة ألذات الأزلية المعنوية بالخروج عن حد الأين والكيف، زيتونةٌ لا شرقيةٌ ولا غربية هو هي إثباتاً وإيجاداً وعياناً وبياناً وحقاً ويقيناً ليثبت الوجود وتصح الشهادة والعيان، لا هي هو من جهة ما رأته الأعين الشحمية اللحمية، لانَّ المرء ما دام في أسر الطبيعة لا يرى إلاَّ مثال كونه000 وهذا ما أشار إليه العالم الخطير الأمير حسن بن مكزون قدَّسه الله وطيَّب ثراه بقوله:

فما شهدته العينُ معنى فذاتها ومن هيئةٍ فهي المثال لهيئتي

وقوله:

أثبتُّ ما عاينتُ من نحوها بمحو ما عاينتُ من نحوي

وله مثال ذلك من إيضاح الحقائق مما يصعب وصفه0

إنَّ الــذي عاينـَــــتُه عيني بمرآة وقـــــتي

هو هي وجوداً وما هي هو في حدودٍ ونعتِ

فمعرفة الحقِّ تعالى واسمه وبابه وعوالم قدسه والإيمان به واليقين بعصمة السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان نضَّر الله وجهه وما جاء به أنَّه الحق والصدق وهذا هو سبيل النجاة، والخلاص من أسر الطبيعة، إلى المنازل والدرجات الرفيعة ثبتنا الله وسائر إخواننا المؤمنين أجمعين بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنَّه جوَّادٌ كريم عليٌّ عظيم ،هذا ما منَّ المولى علينا بقدرٍ ويسرٍ من الحُجَجِ الدامغة في إثبات الإمامة ، ومن سحائب جوده تطلب الخيرات إنَّه عليٌّ عظيم0

الأصل الخامس

في المعاد والرجعة ويوم الحشر ، يوم يحشر الناس ضحى

اعلموا إخواني أنَّ كلَّ أصلٍ من أصول الشريعة الإسلامية كأنه مذهبٌ كاملٌ بأسره يقتضي الفقه فيه والتعقُّل والدِّقة في أحكامه ، اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، واعلموا إخواني أن الحشر حشران ، حشر جزئي وحشر كلي ، وكل ذلك مأخوذٌ من كتاب الله تعالى 0

فأما الحشر الجزئي المذكور في كتاب الله : المأخوذ من أحكام الآية الشريفة قوله تعالى: ويوم نحشر من كلِّ أمَّةٍ فوجاً ممَّن يكذِّبُ بآياتنا فهم يوزعُون حتى إذا

جاؤوا قال أكذّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون*(النحل 84) فقوله: يوم نحشر من ، فالمن هنا للتجزيء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا مات المرءُ قامت قيامته0

وقول الرسول(ص)بُعثتُ أنا والقيامة كهاتين، وقرن بين إصبعيه، وقول مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة لحارث همدان: يا حارث من يمت يراني أنا ومحمد وفاطمة والحسن والحسين إن كان من أوليائنا بشرناه بالجنة فيضحك ويستبشر وإن كان من أعدائنا بشرناه بالنار فيعبس ويبسر0

وقوله عزَّ وجلَّ : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون*(البقرة 28) إنَّ المعجزة هي إحياء الموتى كإحياء المسيح للموتى ولو لم يكونوا أحياءً ثم جعلهم أمواتاً ، وسبق في قضائه أنَّه أذاقهم الموت لمَّا قيل أحياهم ، ولكان قال: خلقهم وأنشأهم كما قيل عن المسيح أنَّه أحيا ميتاً ، ولم يكن خلقه0وإنَّ الخلقة والتكوين فتق ما رتق من العدم ، وإنَّ الإحياء إعطاؤه الحياة لقومٍ بعدَ أن سلبها منهم كما ترى ، أي ترى من فعل السلب والإيجاب في الطبيعة، ألا ترى جزءً من الأشجار تنام شتاءً وتسلب أوراقها والنمو كأنَّها ميتة، ثم تحيا وتردُّ لها الحياة في فصل الربيع والصيف وتثمر0 كما شبَّه الله الإنسان بالنبات من جهة النمو والسلب والإيجاب بقوله عزَّ وجلَّ : والله أنبتكم من الأرض نباتاً*(نوح 17)كذلك الله يردُّ الروح في الأجسام البشرية إلى أن تمحَّض الإيمان محضاً والعمل الصالح ، وان تمحَّض الكفر والعمل السَّيء محضاً ، وأوضح شاهدٍ نقدِّمه في هذا الأصل هو ما نراه من فعل الهلال لأنَّه يعطي صفة الموجودات ، ويظهرها للعيان ، ويبين صفة تغير حال الأكوان وتردادها : فإنَّه يولد من الشمس الساعة الثانية بعد الظهر، ثم ينمو ثم يصير شاباً ثم يوري العجز والضعف، ثم يغيب و يوري الغيبة كالموت البشري وهو فوق فعل الطبيعة، والقوي القادر بحكمه لها وليست هذه الصفات صفاته الذاتية، بل صفاتٌ مفعولة من قبله، والصنعة على صانعها تدل ، وهو منها أجل كما روي عن مولانا أمير المؤمنين علينا من ذكره السلام والرحمة قوله: من قُتِلَ كُرَّ حتى يموت، ومن مات كرَّ حتى يُقتل0

والله فرَّق بين الموت والقتل بقوله عزَّ وجلَّ :ولئن متم أو قُتِلتم لإلى الله تحشرون*(آل عمران 158)وإنَّ الله لا يجهل ما يفعله حتى يقول قولاً غير مؤكدٍ هل يقتلون قتلاً أو يموتون موتاً ؟ بل قولٌ مؤكدٌ فعله إنَّ أمره كان مفعولا، سيذيقهم أنواع الموت والقتل قبل الرجعة ويكررهم فيه قبل أن يرجعون وتلك الرجعة والقيامة هي الحشر الكلي ، وكما قال مولانا أمير المؤمنين جلَّ جلاله في نهج البلاغة: هاهم رهائن القبور ومضامين اللحود، قيل إن القبور: ظهور الرجال، واللحود بطون الإناث، وقد حرَّم رسول الله بيع المضامين والملاقيح، فالمضامين أراد بها بيع الدَّابة وقبض ثمن ما في بطنها من الحمل، والملاقيح هو بيع اللقاح كما في عصرنا هذا من بيع نطف الفحول00

فهذا القول مقرونٌ بقول أمير المؤمنين منه الرحمة وهو ما قاله يوم الخوارج لأحد أصحابه وهذه هي الرواية من نهج البلاغة، وقد قال له بعضُ أصحابه: وددتُ لو أنَّ أخي فلاناً معنا ليرى ما نصركَ الله به على أعدائكَ ، وقد كان أخوه ميتاً فقال له عليه السلام: ها هو أخوك معنا، نعم لقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوامٌ نطفٌ في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمن ويقوى بهم الإيمان 0

وكما قال الأمير حسن قدَّس الله روحه:

فكم جسدٍ أنضجتُ في نار هجرِها

وتُبدِلُنِي منه جديداً لشقوتي

وهذا هو رأي الحسين بن حمدان نضَّر الله وجهه، ومما يثبت الرجعة رجعة الروح إلى الأبدان البشرية مرَّةً ثانية، هو أن نظام الكون الذي وضعه المكوِّن لهذا الكون واحدٌ، أنظر الشمس فإنَّها ترجع في العام الآتي إلى البروج والمنازل والدرج التي سارت فيها وقطعتها في العام الماضي0

أنظر القمر كذلك يرجع في دورانه وبروجه ومنازله وساعاته ودقائقه0

أنظر الربيع فإنَّه يرجع في أزهاره ونضارته ونمو النبات فيه والخصب، أنظر إلى الصيف فإنَّه يرجع في مواسمه وحصاده وأثماره وحرِّه، أنظر على الخريف فإنَّه يرجع رجوعاً مكرراً مستمراً لا نهاية له إلى أن يشاء الله من غوامض علمه0

كذلك حكم النفوس في الأبدان فإنَّها ترجع إلى الأبدان البشرية، وليس لها نظامٌ مستقلٌ مغايرٌ لنظام الموجودات والطبيعة لأنها من ضمنها، أنظر إلى الثريَّا والأفلاك فإنَّها ترجع في دورانها كما قيل:ما تحت الشمس من جديد كما ترون من دوران الحيث الذي هو الفلك فإنَّه يدور ويرجع إلى محوره ونظامه، كذلك المذنبات من النجوم فإنَّها تدور وترجع، وكذلك يعود البحر برَّاً والبرُّ بحراً وهلمَّ جرى000

هذا مما دعانا للإقرار بالرجعة، لأنَّ الحركة دائرية، والجسم الكروي مستدير يدور في مكانه وزمانه، ويؤيِّدُ ذلك الصفر والنقطة، فهم أسُّ الشكل الدَّائري، والشكل الكروي أفضل الأشكال0

فالمسطوح مؤلفٌ من ذراتٍ كروية فلم يبق إلاَّ الكروي فهو الجسم الكامل الشكل، ولم يحمل الذين أنكروا الرجعة هذا الإنكار الشديد إلاَّ الجهل، وما أبعد الجهل عن العلم فهل صرَّح القرآن بإنكار التقميص والرجعة؟أم قال الله تعالى: في أيِّ صورةٍ ما شاء ركَّبكَ*(الانفطار 8)أي إذا شاءَ ركَّب النفسَ في أيةِ صورةٍ شاء، والمشيئةُ لله ولم يزل مشيئاً عالماً بما شاء، وليس للخلق أن يعلموا كلَّ ما شاء الله ، والقول في المعاد واسعٌ لقوله تعالى في سورة البروج: إنَّه يبدي ويعيد*(البروج 13)ومن أسمائه تعالى المبدي المعيد هذا ما قلنا فيه بالحشر الجزئي عن موالينا وساداتنا الأئمة عليهم السلام نقلاً صحيحاً عن الثقات0

وأما الحشر الكلي: وقول العامة ولقد خاض علماء المذاهب في معنى هذه

العودة إلى الحياة مجالاً واسعاً ، فقال قومٌ بالمعاد الجسماني، وذلك انَّه سبحانه يوم القيامة يمحِّضُ الله الأرضَ محضاً فيأمر كلَّ ذرَّةٍ أينما كانت في البر والبحر أن تلتحق بالجسم الذي كانت فيه، وبعد أن يعود الجسم كما كان قبل الموت يأمر الروح التي كانت مجاورة له في البرزخ وهو القبر أن تسلك به والأرض أن تنشقَّ عنه فيخرج ليحاسب عن أعماله، فإمَّا إلى الجنَّة التي فيها من اللذات الحسنة ما لعينٍ رأت ولا أذن سمعت ، ولم يخطر على قلب بشر0

وامَّا إلى النار وهنا الحريق والأفاعي والمطارق000مما نعوذ بالله منه وهؤلاء القوم عطَّلوا حكمة الله في خلقه، لأنَّ جزءً من الخلق ممن يسقطون أجنةً من بطون أمَّهاتهم حتى الذين لم يبلغوا الحلم أي دون التاسعة من أعمارهم لا يقضى عليهم بخير كان أو شر حسب قسطاس العدل الإلهي فكيفَ يُخَلَّدون بالنعيم الدائم بما لم تكسبه أيديهم0

والله تعالى يقول: لا يكلِّف الله نفساً إلاَّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (البقرة286)وهؤلاء ما عملوا شيئاً وليس بوسع هذه الفئة من الخلق أية حسنة كانت أم سيئة، وكيف يدخلون الجنَّة بدون عمل ؟ وإذا ألحقوا بالنار فكيف يخلَّدون في النار خالدين فيها بدون عمل فننسب الله إلى الظلم جلَّ عن ذلك0

ولما منعهم الله من الأعمال خيرها وشرها، وإن قلنا يلحقون بآبائهم فهذا خلافً للكتاب حيث يقول الله جلَّ من قائل: يا أيها الناس اتقوا ربَّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنَّ وعد الله حقٌ* (لقمان 33)هذا هو الله العلي العظيم يردون على الله قوله فهذا ليس من الله في شيء،فأعمار هؤلاء تنافي العدل لو لم يكن هناك رجعة للحياة، وغيرهم كذلك من أصحاب العاهات المانعة عن العمل مثل شلل الأطفال وما أشبه ذلك، فعمر المرء في الحالة المتوسطة مثلاً ستون سنة فإنَّ ربع العمر خمسة عشر عاماً يكون أصغر من أن يقع عليه التكليف الربَّاني، وتلك الخمسة عشر الأخرى لطلب العلم أو لطلب الرزق ، والسعي وراء المعيشة ما عدا ممانعات الحياة من الأمراض والسهو واللهو والنوم والغفلة وحوادث الدهر وخطوبه فإذا جمعتَ طاعتَه كلها من بين أشغاله ولهوه بأعماله فهي لا تتجاوز عاماً واحداً أو عامين على أكبر تقدير، انظروا يا أولي الألباب بعامٍ واحدٍ يدخل الله المرءَ الجنَّة خالداً بلا نهاية ، افترضنا هذا أو ذاك فكيف يدخلُ الله الكافرين لأجل معصية عامٍ واحدٍ أو عامين أو عشرة أعوام يدخلهم جهنَّم خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ، والخلود هو ما لا نهاية له أفهذا من العدل الذي لا جور فيه؟ لا والله لأنه لم يعطِ المرء وقتاً كافياً للعمل، بل هذا من جور أحاديث السنَّة والمعتزلة لا من الله وغيرهم من الذين فسَّروا الكتاب بالرأي والقياس وهذا مما قاسوه بالدين بآرائهم وأهوائهم وقالوا بقياس أنفسهم ومما أوحت به تصوراتهم بدون دليل من الله يحرفون كلام الله عن مواضعه بعد ما عقلوه وكلُّ حججهم يجوز أو لا يجوز أوهام بأوهام0

وقال أهل الحق في معرفة الحقيقة وعلى رأسهم شيخ الطريقة السيد أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نضَّرَ اللهُ وجهه متخذاً علومه من مواليه أهل العصمة عليهم السلام: إن الإنسان لا يزال يتكرر في المواليد إلى أن يحصل على حالةٍ من حالات الصفاء والنورانية أو النار والمسوخية0

فإذا صفا وصار على محلِّه من الهياكل النورانية لا يأكل ولا يشرب ولا يسهو ولا ينام ولا يغلط ولا يتسخ له ثوب بل يصير كوكباً دريَّاً في السماء نيراً يسير من المشرق إلى المغرب بلحظةٍ واحدةٍ ، مخلداً في النعيم لا يغيب عنه باريه طرفة عين 0

وإذا دخل النار، والنار هي المسوخية أعاذنا الله وسائر المؤمنين بلطفه فيحل في كل جنس سبعين مرة من الفيل إلى الدودة التي تدخل في سمِّ الخياط ثم إلى الذرَّة ثم إلى الهباء المنثور يعذب بالانتقام منه بإزاء جحوده وإنكاره في الذرو الأول فهذا هو الحق والصواب وإلى الله المرجع والمآب ونسأله العفوَ يوم الحساب0

***

*

*

*

*

*

الباب الثاني في معرفة التوحيد

وهو الأصل للدين وهو ما أوجبه الباري تعالى على عباده من معرفته، ومعرفة اسمه وبابه، وكَتَب النجاة لعارفيه والهلاك والعقاب لجاحديه0

فأوَّلُ ما نذكر من ذلك قول مولانا أمير المؤمنين : إنَّ أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه سبحانه، ومن قرنه فقد ثنَّاه، ومن ثنَّاه فقد جزَّأه، ومن جزَّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن قال فيم فقد ضمَّنه، ومن قال علامَ فقد أخلى منه، كائنٌ لا عن حِدث0

فهذا القول يفيدنا في نفي الحِدث، وصفات الحدوث عنه جلَّ جلاله، وأن نثبت القدرة وننفي حدوث الصورة، ونثبت أنَّ الصورة المرئيَّة هي الذات، وننفي عنها صفات المحدثات0

فالمعنى تعالى سمعٌ كلُّه، بصرٌ كلُّه،علمٌ كلُّه، قدرةٌ كلُّه نورٌ كلُّه، ليس ظاهره خلاف باطنه، ولا باطنُه خلاف ظاهره ، أحدٌ فردٌ صمدٌ ، ذاتٌ واحدة صرفٌ لا مدخل لشيءٍ فيه0

هذا ما أورده الجلي عليه سلام الملك العلي في وصيَّته لأبي سعيد عليهما السلام، لانَّ الواصف إذا وصفه بصفة محدثة، كإحاطة السماء، والحركة والسكون والزيادة والنقصان والاستتار والحضور جعل هذه الصفات مقرونة بالذات، ومن قرنه بها فقد ثنَّاه أي جعله نوعين ، قديم ومحدث، ومن ثناه كان مشركاً وجعله أجزاءً متباينة كالقائلين بأن الغيب هو الظلمة، وهو الإله المتقدِّم على النور، والنور هو الإله المتأخر، وقائلُ ذلك فقد خالف الشيخ، ويدَّعي أنَّه موحِّد على رأي السيد أبي عبد الله نضَّر الله وجهه، أولم يدر هذا الجاهل المفتون بأنَّه نصَّب نفسه ندَّاً وضداً لمولانا أمير المؤمنين منه الرحمة حيث قال: ومن جزَّأه فقد جهله، أي كان جاهلاً بمعرفته تعالى آخذاً برأي نفسه، تاركاً أقوال الموالي الكرام عليهم السلام، متَّبعاً القياس الذي أضلَّ النَّاس، ومن جهل الله سبحانه فقد أشار إليه بجهةٍ دون أخرى ما وأثبت انتهاء ذاته داخل الحدود ، وجعل الحدود زائداً على الذات، ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن عدَّه جعله داخل الأعداد كخلقه عزَّ وجلَّ لانَّ توحيد الله عزَّ وجلَّ هو كما قال شيخ الطريقة نضَّر اللهُ وجهه: إنَّ المعنى كان ولا شيء معه أحداً فرداً صمداً0

فالتوحيد هو توحيد الله عن أسمائه وصفاته أي الصفات المحدثات كما أورده الجديلي الشيخ حاتم الطوباني قدَّس الله روحه وأرواح المؤمنين، عن مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة في تجريده:دليله آياته، ومعرفته إثباته، وتوحيده تجريده، وتجريده تنزيهه،وتنزيهه أن تصفه بصفة الكمال، وتنفي عنه صفات العجز والمحال 0

دليله آياتُه ، وآياتُه ظهوراتُه دلَّ بها على ذاته بذاته، ومعرفتُه إثبات وجوده الصورة المرئية أنَّها الذات العليَّة الأزليَّة ، ونفي خط الخيال الحاصل من قبل الأعراض الوهميَّة الخيالية، والله بكلِّ شيءٍ محيط لا خط يحيط بهذه الصورة النورانية، وتوحيده تجريده عما يجري بالتصوير من قبل القوى الخمسة: المفكَّرة والمذكَّرة، والحافظة، والمخيِّلة والآمرة، وهي من أفعال النفس ، والمعنى جلَّ وعلا فاعل النفس وسائر المفعولات العقلية والحسية0

وتجريدُه: تنزيهه، وتنزيهه: أن تصفه بصفات الفضل والكمال، فصفات الفضل والكمال: هي الصفات التي قال عنها شيخ الطريقة عليه السلام:

إنَّ لله صفات خالقات لا مخلوقات: وهي العلم والقدرة، وتنفي عنه صفات العجز والمحال، وهي نتائج أفعال المحدَثين، فالمحدث عاجزٌ أن يكون قديماً ، والعاجزُ عاجزٌ عن القدرة أن يأتي بها ، وهذه هي حدوث المحدثين وصفاتهم، وأيضاً من وجوه التوحيد أن يعلم المؤمن أنَّ كثرة ظهوراته تجمعها أحديَّة ذاته كما قال الأمير حسن بن مكزون السنجاري قدَّس الله روحه:

منفـرداً، منــــــزَّهاً مجـــرَّدا
عن الأسامي والصفات والصور

أي منفرداً عن الاسم وإن ظهر كمثل صورته، منزَّهاً عن كون النور الاسمي ،

والضياء البابي، والظل اليتيمي ، وإن بدا بهذه الحجب الثلاث، فهو نورٌ لا كالأنوار ، كلَّما أضاء لهم البرق عشوا فيه، ولو أبصروا لأبصروا كليَّة ، وعلموا أنَّه مجرَّد عن الصور لأنَّه كما جاء به الرداد الحلبي قدَّسه الله: إنَّ الخط: الاسم، والسطح : الباب، والارتفاع: اليتيم، فتتم المقادير الثلاث الجامعة لسائر الصور والطول والعرض والعمق، والنقطة قبل الكل0 مثال: للحقِّ الذي ليس شكلاً، المحيط بكلِّ شكلٍ، ولذلك قيل يا كلُّ0

فالفصل الذاتي: باينهم في الحقيقة والجوهر

والوصل صفاتي: شاكلهم بالصفة والمنظر (للصادق)

وللإمام أمير المؤمنين قوله:

يا قريب من الأشياء غير ملامس: وصل بالصفة0

يا بعيداً عن الأشياء غير مباين: فصل ذاته عن الذوات0

وكقول الأمير حسن طيَّب الله ثراه:

كلٌّ يراكَ كعـــــينه إذ أنتَ مرآة الوجود

بطن بلطفه (هو فصل)ظهر بوصفه (هي وصل)

وكما قال النتجب قدَّس الله روحه:

فأعجبُ لشمسٍ بدت من كفِّ بدر

دجى على زمور ونایاتٍ وعيدان

فأعجبُ لأس الأسوس، وشمس الشموس، صفة القهر والجلال، البادية بصورة الحُسْنِ واللطف والجمال، وظهور الحقِّ بين خلقِه عجيبٌ ، وكما تفضَّلَ بعض الموحدين قدَّسهم الله: أشهد أن هذه الصورة المرئيَّة من قبلي صورة وصل، ومن قبله تعالى هي الذات الأزليَّة فصل، ليست كليَّة الباري من قبلي أي من قبل الناظر، ولا الباري تعالى سواها من قبل ذاته، بل هو الجلالة العظمى والمعنوية الكبرى والذات العظيمة من قبله تعالى هو هي إثباتاً للوجود لا هي هو كلاً ولا جمعاً ، ولا إحاطة ولا إحصار، ولا حدود لنورانيَّة اللاهوت، ولا تناهي لهذه القوَّة، والنور الإلهي الذي سبق الدهور والأزمنة، وأحاط بالأفلاك والامكنة0

مكَّن الأمكنة من القيام والوجود ، وقدَّر حجم الكميات بتناهي الحدود، وعياناً وبياناً أشهد أنَّ عينَ ذاته مباينة بالجوهر لأعيان الموجودات، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم، كما أشهد وأقر أنَّ عينَ ذاته ظاهرةٌ بالتجليات كما قال الإمام علينا منه الرحمة ومن ذكره السلام:التوحيد أن لا تتوهَّمْه حقاً ويقيناً ليحق الحق بكلماته التي هي هو البادية في الظهورات، وذلك مِنَّةً من الألطاف الإلهية لتتمَّ الحركة الشوقيَّة وتنجذب النفوس نحو باريها بجذب الأجذبة من غير علَّة في المحبوب الذي جعل بيوته القلوب، كما قال في الحديث القدسي: إنَّ السماوات والأرضَ لن تسعني، ولكن يسعني قلبُ عبدي المؤمن لأنَّه حرمي، وحرامٌ على حرمي أن يسكنه غيري0

ظهر اللاهوت وأشرق نوره في البيوت، يا من بيده بيوتات السماوات والأرض زدْنا من محبَّتِكَ، وثبِّت قلوبنا على معرفتكَ0

وبيوتاته: ظهوراته، والبيت الصورة، والحج المعلوم: مشاهدة تجلي الحي القيوم، فهو النور المطلق المبدي المعيد، وإن رآه عبادَه كصورهم في حدِّ التقييد0

أُثبِتُ له النور والقدرة والعلم، وأنفي عنْ ذاته صفة ما هو موجِدُه ومبديه 0

ومن التوحيد: هو أن تعلم أنَّ الباري أحد من جميع الوجوه لا صفة زائد عليه فيكون يستمدها من سواه،ولا نعت ولا نظير ، ولا عديل ولا شريك، ولا شبيه ولا مثيل، ولا ند ولا ضد له، قائمٌ بذاته بالعلم والنور والقدرة لأنَّ الخلقَ والتكوين والحدوث والحدود والجهات والحركة والسكون بعده، وما كان بعده فهو غيره وسواه، والباري منزَّهٌ عمَّا سواه ، وأنَّ الاسم والباب والعالمين وكلَّ مكوَّنٍ وكائن من نوعين قديم ومحدث ما خلا الذات العظمى فإنَّها نوعٌ واحدٌ لا يمازجُ اسماً ولا باباً ولا أحداً من خلقه ، وكلُّ ظهوراته أزليةٌ ذاتية أنزعيةٌ، ويعلمُ ذلك كافةُ أهل التوحيد، وليس لله صورة محدثة يظهر بها بل هو نورٌ في بطونه ، نورٌ في ظهوره، فصورته عين ذاته، وذاته لا تحَد، بل إنَّما حسر الأبصار وأوقفها عند حدِّها كما قال تعالى:ثمَّ أرجِعِ البصرَ كرَّتين ينقلبْ إليك البصرُ خاسئاً وهو حسيرٌ *

(الملك4)أي منحسرٌ عن الإدراك لا عن الرؤيا كمثل من يقف على شاطئ المحيط فإنَّه يرى منه على قدر طاقته، وقوَّة بصره، ولكن لا يدخل المحيط تحت حدِّ البصر، ومن فتح الله قفلَ قلبِه علم أنَّ التوحيد: هو أن توحِّدَه عن خلقه، وهو أن تعلمَ وتشهد أنَّه كان ولا مكان ، ولا دهر ولا زمان، ولا سماء مبنية، ولا أرض مدحيَّة ، ولا شمس ولا فلك ولا نجم ولا كون ولا حدوث، وحده لا شيء معه ، قائماً بذاته غنيَّاً عن سواه ، فهذه صفة القدم والعزَّة هي الذات المجرَّدة عن كلِّ صفةٍ حِدْسة0

فلمَّا بدت الإرادة من مريد، والحكمة من حكيم: أوجد الاسم الأعظم، واخترعه من نور ذاته، وأمره بإيجاد الكائنات فأوجدها بقدرة باريه، ومكوِّنه ومنشيه، فلم يحل الباري في خلقه، ولم يمازجهم، ولم يكن من جنسهم، ولم يحل، ولم يزل، ولم ينتقل عن حالة القدم التي كان عليها قبل الخلق والإيجاد كما قيل: فسبحان الذي لم يزل عن كيانه وإن ظهر لعيانه ، ظهر بوصفه، وبطن بلطفه، ظهر بذاته فرأوه بصفاتهم ، ظهر بالقدرة فرأوه بالصورة، ظهر بالنور المطلق العام، فرأوه بهيئات الأجسام، ظهوره للمؤمن حكمة ورحمة، وعلى الكافر حُجَّة ومحنة0

هو الأول بلا بدايةٍ لإشراقِ نوره، والآخر بلا نهايةٍ لكلماته وظهوره، هو الظاهر بالذات ، المشاهد بالصفات، هو الحق المشهود كالخلق، هو القدرة المرئي بالصورة، هو صفة القهر والجلال، المتجلِّي بالجمال والكمال، هو مبدي الزمان والمكان، المعاين كبني الإنسان ، وكلٌ هو في الكتاب، عليٌّ هو الذي لا إله إلاّ هو ، عليٌّ ضيف إبراهيم الذي قال له: لا تخفْ أنا هو ربُّ المشرق ما أشرقَ منه جلَّ جلاله، والمغرب ما أغرب عن الخلائق من عجزهم عن إدراك جماله كما قال الإمام

الباقر والنور الزاهر: نحن ظاهر الله ولسنا غير باطنه ، ونحن ظله ومنَّاأشرقت شمسه لم يتقدمْنا وقت، ولا وراءنا غاية لمطلب بنا تأبَّد الأبد وتمَّ كل عدد، الوحدانية معنانا وإن اختلفت أسماءنا والقدمُ نور ذاتنا ، وإن كثرت صفاتنا، من حدَّنا فقد عدَّنا، ومن شبَّهنا فقد أشرك بنا0

أي أفرِدْ الباري بصفات ذاته التي هي علمٌ قدرةِ نور سمع بصر حي مريد متكلم موجود فهذه صفة الأحد قبل الواحد0

ولا تشبِّهه بخلقه ولا بما لم يكن في حال الوجوب قبل الإمكان فتشرك بالله ، أعاذنا الله وسائر المؤمنين0

قيل ما لله حجاب أشد من حجاب المماثلة كقول الذين كفروا : وما أنتَ إلاَّ بشرٌ مثلنا *(الشعراء 186) آمِنْ بالنور المنير لسائر الأنوار ولا تحجبه بصفات المحدثات التي هي كالجدار ليس هو من شيء بدا فيُسبق، ولا إلى غاية فيُلحق ولا على شيءٍ فيحمل ويُقَل، ولا في شيءٍ فيوهن ويضمحل، ولا فوقه شيء فيظل، ولا ليس له وراء فيسنده، ولا أمام فيحده، ولا جوانب فتعدله، جلَّ عن الصعود والنزول، والطلوع والأفول، والاتحاد والحلول ، والغيبة والظهور، والاستتار والحضور، ومواراة الحجب والاستتار ، وإحاطة الجهات والأقطار، والإشراق والإغراب ، والقرب والبعد0

كما تنزهه عن التبديل والتغيير، وعن الكم والكيف والمقادير ، هذه بعض صفات المحدثات التي يجب تنزيهه عنها، والتي أُحدِثت وكوِّنت بعد أن لم تكن ، بل آمِنْ بالله والنور الذي أُنزلَ معه ، واعلم أنَّ ذات الله نور وهو النور الذي أحاط بكلِّ شيء قوَّةً وعظمةً وسلطاناً، وإنَّ الأنوار مستنيرة وهو منيرها، والأنوار مستمَدة وهو ممدُّها والأنوار محدثة وهو محدثها، والأنوار محاطة وهو محيطٌ بها، والأنوار مكَوَّنة، وهو مُكَوِّنُها، والأنوار لها نهاية، ونوره غاية بلا بداية ولا نهاية، هذا هو رأي الشيخ الخصيب عليه رضوان الملك المجيب ، هذا هو الصراط السَّوي لمن اهتدى كما قال الله تعالى جلَّ وعلا: تبارك الذي جعلَ في السماء بروجاً وجعلَ فيها سراجاً وقمراً منيراً *(الفرقان 61)فالجعل والخلق للسماء والبروج والسراج وقمراً منيراً، قالوا هاهنا واو المعيَّة كقوله تعالى: وجاء ربُّكَ والملكُ صفّاً صفّاً*(الفجر22) يوم يقوم الروح والملائكة 0

وقوله تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً*(يونس5)فإننا نثبت ما أثبته الله في كتابه وهو النور لا ظلمة، لا بهمة0 يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاَّ أن يُتِمَّ نوره ولو كره الكافرون*(التوبة32)دعنا من قول المحرفين الذين يحرِّفون الكلم عن مواضعه بعدما عقلوه ، هذا قول الحقِّ فما بعد الحقِّ إلاَّ الضلال هذا هو الخطر لمن تاجر بروحه، واتبع الظلمةَ والباطل فلكلِّ شيءٍ ذات وجود ، فذات الله نورٌ لا كالأنوار (رأي شيخ الطريقة)(وذات الله ظلمةٌ لا كالظلمات ،رأي الدرويش محمد وسواه ممَّن يقولون: إنَّ النور صفة، والذات منزَّهةٌ عن الصفات) فإذا كان ذلك فالعلم صفة والقدرة صفة والحي صفة والوجود صفة

فإذا نزَّهنا الباري عن هذه الصفات دخل في باب العدم والنفي أفهذا التنزيه للباري ؟ وكان الإنكار أفضل من أن نشير بأسماءٍ لغير مسمًّى بها، وصفات لا وجود لموصوف بها ، وقد قال مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة: من لم يصفه فقد نفى وجوده0

هذا وقد ينقسم الخلق في معرفة الله تعالى إلى أقسام لا يمكن حصرها ولكن سنختار منها بعضاً وما هو مشهور أنَّ التوحيد على ثلاثة وجوه0

1. **توحيد الله في خلقه: وهو الحلول والشرك0**
2. **توحيد الله مع خلقه: وهو رأي أصحاب وحدة الوجود**
3. **توحيد الله عن خلقه : وهو الحق المبين0**

ولنذكرْ طرفاً من أقوال أهل الباطل لا جتنابه كما مرَّ، فامَّا أقوال أهل الحلول الذين يحلون الله في كل شيءٍ وهم يزعمون التوحيد ويعتقدون أنَّ الله في كلِّ شيء، عين ذلك الشيء وحقيقته، فهو في الحيوان والنبات والجماد ، وهم العوالم الثلاث ، وفي النار والهواء والتراب ، وأنَّ الله هو الآكل والمأكول والذابح والمذبوح يتنعَّمُ مع كلِّ متنعِّم ، ويتعذَّب مع كل متعذِّب في أنواع المخلوقات ،وأشهر أئمة أصحاب هذا الرأي محي الدين بن عربي،
والقائل في شعره:

يا عينَ عيسى ويا لام الكليم ويا
ياءَ الحقيقةِ يا موحي إلى الرسل
فما الكليم وما موسى وما جبل
فالكلُّ أنـــــــتَ بلا زيغ ولا زللِ

فهو بهذا القول: يوحد أمير المؤمنين وعيسى وموسى والجبل كلهم واحد وهو الله تعالى بلا فرقٍ ولا زيغ، ولا زلل،هذا قوله إنَّ الله في الموجودات ، وهي وهو جوهرٌ واحدٌ ، ذاتٌ واحد0 كذب وضلَّ وغوى ، وعلى الله افترى، كفاه ردَّاً عليه قول أمير المؤمنين منه الرحمة:ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج0

وأمَّا قول أصحاب وحدة الوجود الذين يوحدون الله مع خلقه وهم كالشاذلية، والنقشبنديَّة، وأشهر أئمَّتهم ابن تيمية صاحب رسالة(القشيرية)وهم يعتقدون أنَّ الله وحدةً في كثرةٍ، وكثرةَ في وحدةٍ، فيكون الخالق عين المخلوق من جهة أخرى ونعوذ بعصمة مولانا من الزيغ والضلال وأقوال أهل الباطل، والجنسية هي من توابع هذه الأقوال أي أنَّ المخلوق من جنس الخالق ، والجنس لا يمنع من الاشتراك به لأجزائه0

وأمَّا التوحيد الذي جاء به شيخ الطريقة عن مواليه أهل العصمة منهم السلام والرحمة: هو توحيد الباري عن أسمائه وصفاته ، وعن سائر مبتدعاته ، وأنَّه لا يتصلُ بالأشياء اتصالاً ذاتياً كاتصال المعلولات بعلاَّتها ، ولا ينفصل عنها كانفصال

الجزئيات من كلياتها ، أي أنَّ الباري ليس مسبوق بعلَّةٍ له فيتصلُ بها كإتصال الأجسام الهواء والماء والنار والتراب حال الفناء ورجوع الجزءِ الذي هو الجسم على التراب الذي هو الكل، ولا هو من شيءٍ فينفصل عنه انفصالاً جزئيَّاً كالانقطاع والانسلاخ فيكون متجزِّئاً بالأجزاء جلَّ بارئُ الأرض والسماء0

ومن أجلِّ وجوه التوحيد أنَّ القدرة في ذاتية الله مطلقة ، وفي غيره مستعاره مقيَّدة0

وكما قال الغسَّاني قدسه الله في مسائله:إنَّ الذات الإلهية لا توصف بالاتصال والانفصال فليست هي بهيئة، ولا هي من قبل الهيئات والأشكال، فليست بكيفية ولا جنسَ لها ولا فصل ولا حد فيها فهي خارجة عن الحدود 0

ومن كان لا حدَّ ولا نهاية، ولا هيئة، فلا يوصف بالاتصال والانفصال0

وكما أورد أحمد بن محمد العبدي النميري قدَّسه الله في رسالته الحرَّانية في توحيده: أُنَزِّه مولاي عن بسط حدث، وخط منظور، وأنزع كليَّة ديمومته عن انفصال واتصال بغيبةٍ وظهور لأنَّ الباري لا يكون حاضراً في وقتٍ دون وقت، غائباً في وقتٍ آخر ، فهذه الحالة من صفات المحدثات جلَّ الله عن ذلك، بل كما قال شيخ الطريقة عليه السلام:

هو الظاهر الذي لم يغب قطَّ عن العارف العالم الخبير

*****

الباب الثالث: في إثبات التجلِّي

من كتاب الله وحديث رسول الله، وقول أهل العصمة منهم السلام، وحجة العقل الموافقة لكتاب الله تعالى:

إنَّ الإسلامَ يُقسَم إلى قسمين: مجازي وحقيقي، لأنَّ الإسلام دائرة خارجية وهو عمل الأبدان ، وهو ما زوِّجت به الإماء، وحقنت به الدماء، ووفيت به الديون وأُخذت به المواريث كما جاء في الحديث: المسلم من سلم الناس من عينه ولسانه 0، وهو إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه وكف العين واليد واللسان عن تناول ما ليس لهم به حق من سائر الأشياء، وهو أن تعلم أنَّ هذه الجوارح ملكُ الله وخلقُه فلا يُعصى الله بها لألاّ يخالف المملوك مالكه، والخالق يخالفه مخلوقه0

وأمَّا الإيمان فهو عمل الأرواح، وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له وكتبه ورسله، وعدم اتهام الرب بفعل غير الواجب ووجوب معرفته على خلقه وجميع الأديان جاءت بمعرفة الله وطاعته 0

ولما كان الإسلام ينقسم إلى شيعة وسنَّة، وكل منهم ينقسم إلى أقسامٍ شتى في معرفة الله تعالى ، وقد اختلفت إشاراتُهم، وتعدَّدت آراؤهم ولا سبيل إلى حصرها، ولكن سنذكر طرفاً منها للدلالة:

فأمَّا الشيعة:ويبلغ عددُ فرقها نحو ست وثلاثون فرقة، والسنة كمثل ذلك ، وقد اختلفوا في الأصل الأول الذي هو التوحيد هل يتجلَّى الله أم لا يتجلَّى؟

فأمَّا الإماميَّة، وغيرهم من فرق الشيعة فإنَّها تنكر التَّجلي في الدنيا والآخرة وتحتجُّ بقول الله تعالى:عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً*(الجن 26) وقوله: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير*(الأنعام103) وقوله: الم *ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين* الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون*

(البقرة3/1)وقوله تعالى:هو الله الذي لا إله إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم*(الحشر22)وما شابه ذلك من الآيات والأحاديث0

كما أنَّ فرق من السنة كالمجسمة والحشوية والحلولية وغيرهم يعتقدون أنَّ الله جسمٌ، ويستشهدون من القرآن كتاب الله على إصابة رأيهم بآياتٍ عدة كقوله تعالى: ويبقى وجه ربِّكَ ذو الجلال والإكرام*(الرحمن27)وقوله تعالى: إنَّ الذين يبايعونك إنَّما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم*(الفتح 10)وقوله تعالى: إنْ تقول نفسٌ يا حسرتي على ما فرَّطتُ في جنب الله*(الزمر 56)ويحذِّركم الله نفسه والله رؤوفٌ بالعباد*

(آل عمران 30)

فيقولون أنَّه وصف نفسه بأوصاف الجسم، والوجه، واليد والجنب والكلام بقوله تعالى: وكلَّمَ اللهُ موسى تكليما*

(النساء 64)والكلام لا يكون إلاَّ من صورة0

وأمَّا نحن أهل التوحيد:الذي قال الله بنا: وكذلك جعلناكم أمَّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس*(البقرة 143)فَلَنا من الأمور الوسط فلسنا فرقةً غيبيَّة كالشيعة نقول أنَّ الباري غيبٌ لا يتجلَّى لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا كالسنَّة المشبِّهة التي تشبِّه الله في محدثات خلقه ، وتحله في خلقه حلولاً كليَّاً بدون استثناء لشيءٍ من الخلق، بل نحن نقرُّ بالتجلِّي ونجمع بين الرأيين بعلم الحقيقة والإثبات والنفي ونقول:

إنَّ الكتاب ذو وجوه عدَّة تغرقُ في لجج بحار معانيه ثواقب نيران الأفكار ، وهو كما قال الله به: وما يعلمُ تاويلَه إلاَّ الله*(آل عمران7)ونحن نقول : إنَّ الغيب الباطن هو المتجلِّي الظاهر لقوله تعالى: هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلِّ شيءٍ عليم*(الحديد3)وقوله تعالى: هو الله الذي لا إله إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم*(الحشر22)لقد أثبت الله تعالى في كتابه أنَّ عالم الغيب هو عالم الشهادة المتجلِّي بالمشاهدة ليشاهَدَ ويُعرَف ، وتصحّ الشهادة بالمشاهدة له وتكون شهادة أن لا لإله إلاَّ الله مبنية على مشاهدة تجليه وظهوره، كما أن الشهادة لمحمد مبنيَّة على رؤية محمد رسول الله (ص)وظهوره، وإن الشهادة في اللغة مشتقَّةٌ من المشاهدة، ولا يجوز للشاهد أن يشهد بما لا يراه ، ولا تبنى الشهادة الحقة بظهر الغيب ، وكيف نبَّأ الله في شريعةِ رسوله – صلى الله عليه وآله – ونبيِّه وجعل الشهادة لِمَن شهد الشيءَ ، وجعل الشهادة له مبنيَّة على

الغيب ولم يجز ذلك في قسطاس العدل حيث جعل الشهادات كلها على رؤيا العين وإن الله خاطب خلقه من حيث يعلمون ، وما بعث الله نبيَّاً إلاَّ بلسان قومه فهذا لا يجوز أن يحرم أمراً أو نظاماً ثم يأمرهم بفعله من جهة، والإمام الأعظم أمير المؤمنين منه الرحمة أوضح بقوله: إنَّ بين الحقِّ والباطل أربع أصابع فالحقُّ أن تقول رأيت، والباطل أن تقول سمعت0

وقد سئل مولانا إمام الإسلامِ ومن عنده أمُّ الكتاب: هل رأيتَ ربَّكَ يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما كنتُ أعبدُ ربَّاً لا أراه وذكر التجلي الأعظم في النهج فقال منه الرحمة: الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجَّته0

فإنَّ المتجلي هو الذات ، والتجلِّي هو الهيئة التي تقع عليها الأبصار عند تجليه كالشجرة المباركة الطالعة من طور سيناء لقوله تعالى: هو الأول والآخر والظاهر والباطن *(الحديد3)

فالظهور والبطون صفتان من صفات الظاهر والباطن، فإذا ظهر يقال ظهور، وإذا بطن يقال بطون، وهما مصدران مشتقان من فِعْلَي ظهر وبطن ، ودليل الاسم المشتق، فالبطون مشتق من الباطن، والظهور مشتقٌّ من الظاهر، وهو غيره ويهدي الله بهما من يشاء ويضلُّ من يشاء، ومن قِبَلِ الصورةِ الآدمية ضلَّ من ضلَّ، وهي الهدى وبها اهتدى من اهتدى هذا رأي الشيخ، وما أتانا به عن مواليه أهل العصمة، وأئمَّة الأمَّة عليهم السلام ، وقد لخَّص لنا علوم آل محمد ، واستخلص لنا الحقيقة بغير زيادةٍ ولا نقصان ، وهو الأمين على الأسرار ويضع الحكمة في موضعها حيث الاستحقاق ، وهو مثل ما رواه السيد أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نضَّر الله وجهه قال: حدَّثني محمد بن منصور العبدي، عن أبي الحسين علي بن سليمان قال: حدَّثني أبو محمد القمي قال حدَّثني: ماهان الإبلي، عن المفضل بن عمر عليه السلام عن الصادق جعفر بن محمد علينا من ذكره السلام بعد كلامٍ طويل وهو قوله: ذلك بأنَّ اللهَ ظهر لخلقه بالنورانيَّة وأظهرهم بخلافها وأوجدهم نفسه ، ودلَّهم على ذاته ، فناجاهم خطاباً واضحاً ونطقاً بيِّناً وعياناً موجوداً ، وعرَّفهم أنَّه الخالق لهم وقال لهم ألستُ بربِّكم؟ ولولا ذلك لما صحَّ ذلك السؤال لانَّ الله تعالى لم يكن يسأل من لم يعرفْه ولا يعاينه فيقول لهم: ألستُ بربِّكم؟ وهو قوله تعالى: واذ اخذَ ربُّكَ من بني آدم من ظهورهم ذريَّتَهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربِّكم قالوا بلى*(الأعراف172)0

هذا ما أورده الشاب الثقة في كتاب البحث والدلالة في فكِّ مشكل الرسالة قدَّس الله روحه0

وأما كتاب الله المقدَّس التوراة :اعلم أنَّها سميت التوراة بمعنى الرأي أي أن النبيَّ الحاضر يرى الرب يوميَّاً ، ويطلب منه حاجات العباد ، وهذه مناجاة موسى للرب وتكليمه له لقوله تعالى في الفرقان: وكلَّم الله موسى تكليما*(النساء 164) وقد تردَّد ذكرُ ذلك التَّكلُّم في آياتٍ عدَّة ، وخطابه للنار في ثلاثة مواطن بثلاث

صفات بالقبس والجذوة والشهاب0

أمَّا تجلِّيه له وخطابه له من القبس والنار هو قوله تعالى: وهل أتاكَ حديث موسى* إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنِّي آنستُ ناراً لعلِّي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدى*فلما أتاها نودي يا موسى*إنِّي أنا ربُّكَ فاخلع نعليك إنَّك بالوادي المقدَّس طوى*وأنا اخترتُكَ فاستمع لما يوحى*إنِّي أنا الله لا لإله إلاَّ أنا فاعبدني وأقِم الصلاة لذكري*(طه14/9)

**وأما تجليه له وخطابه له من النار وذكر الجذوة المباركة في سورة القصص وهو قوله تعالى: فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إنِّي آنستُ ناراً لعلِّي آتيكم منها بخبرٍ أو جذوةٍ من النار لعلَّكم تصطلون فلمَّا أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنِّي أنا الله ربُّ العالمين*
(القصص30/29)**

وأمَّا ما جاء من ذكر تجلي الحق لكليمه موسى وذكر الشهاب والقبس في سورة النمل قوله تعالى: إذ قال موسى لأهله إنِّي آنستُ ناراً سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قبسٍ لعلَّكم تصطلون*فلمَّا جاءها نودي أن بوركَ مَن في النار ومَن حولها وسبحان اللهِ ربِّ العالمين*(النمل 8/7)وقال وقوله الحق: وكلَّمَ الله موسى تكليماً*(النساء164)ولم يكن غير الذات الذي كلَّم موسى بتجليه له من النار من شاطئ الوادي الأيمن ، وهل أصدقُ من الله حديثاً حين قال له: لا إله إلاَّ أنا فاعبدني وأقِم الصلاة لذكري* فهل يُعلنُ بنون العظمة سواه؟ وهل يقول: لا إله إلاَّ أنا فاعبدني إلاَّ هو؟ القائل في موضعٍ آخر من الكتاب: وما أرسلنا قبلكَ من رسولٍ إلاَّ نوحي إليه أنه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون*(الأنبياء25)وقال: إنَّ هذه امَّتُكم أمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدون*(الأنبياء 92)

ومن يقلْ أنا يلزمْ أن يكون مشهوداً مرئيَّاً للعيان لأنَّ كلمة أنا لا تدلُّ على الغائب0

وأمَّا ما جاء في الإنجيل المقدَّس قوله: جاءَ الرَّبُّ ، كما هو موجودٌ في القرآن الكريم قوله تعالى: وجاءَ ربُّكَ والملَكُ صفاً صفاً*(الفجر22)

وقوله الكريم في التوراة: أتانا الله من سيناء، واستعلن ناراً من ساعير وأغرب في قاران0

فأمَّا سيناء فهي محل التَّجلي لموسى من النار ومخاطبتها له من سيناء في غرب فلسطين، وأما ساعير هي جبال الهند ولم يزل الهنود يعظِّمون النار لوقتنا هذا ويرتقبون الظهور منها ، وأما قاران وقيل فاران، وهي جبال مكَّة السبعة، ومحل تجلي الرب في الظهور العربي الهاشمي وظهور الله من بيته الحرام، والقصد إليه والطواف حوله للمؤمنين المقرين العارفين ووجوب نحر الناكرين في محلِّ إنكارهم وجحدهم إثباتاً للعدل وتنبيهاً للفضل وقد كررنا الشواهد من الإنجيل والتوراة وإيراد

الآيات لتأكيد الفعل أنَّه فعلٌ مطلقٌ ، وتلك النار المؤانسة هي نار القدس المرتفعة عن كون الحس وعن الإدراك بالحواس الخمس الظاهر للجنس كالجنس باللطف والإنس ، العليَّة عن الحدود والجهات ، والمتنزِّهة عن الأسماء والصفات ، وسائر النعوت المحدَثات، واختيار الكتب الثلاث من حيث تثليث الصفات يدلُّ على أحديَّة الذات مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة والأوقات ، وإنَّ المرسِل بكسر السين هو العليُّ الأحد ، وإنَّ كليم الله موسى الشيخ صاحب التوراة هو عيسى المسيح الطفل الذي أحيا الأموات ، وهو محمد صاحب الكتاب والآيات ، وإنَّ المعنى أحدٌ، والرسول واحدٌ لقوله تعالى: وما من إلهٍ إلاَّ الواحد القهَّار *(ص65) فلا يصدر عن الواحد إلاَّ واحد كما في العدد واحد في واحد فلو تكثَّرتِ العلَّة لتكثَّر المعلول وهذا ممَّا يدلُّ على أنّ الرسول واحد، وقد قال الله تعالى: يا عيسى إنِّي متوفيكَ ورافعُكَ إليَّ *(آل عمران)

فإن كان المسيح لم يره في رفعته كما شاهده موسى في بقعته من جلالة النار المنزَّهة عن الإحاطة والإحصار فإن تكن تلك النار غير الذات فما تكليمه لموسى وتشريف بقعته؟ وما فضل عيسى في رفعته؟ وكذا محمد في معراجه حين رقى في السبع العلى كما قال جلَّ وعلا: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى *(الإسراء1)

إلى أن قال الله به: وهو بالأفق الأعلى*ثمَّ دنا فتدلَّى*فكان قاب قوسين أو أدنى*(النجم 9/7)أي كان من الله قاب قوسين كبياض العين من سوادها، ثم قال: فأوحى إلى عبده ما أوحى*ما كذَّب الفؤاد ما رأى *أفتمارونه على ما يرى*ولقد رآه نزلةً أخرى * عند سدرة المنتهى*عندها جنَّةُ المأوى * إذ يغشى السِّدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى*(النجم17/10)

فقوله: ما زاغ البصر يثبت رؤيا البصر له حين كان منه قاب قوسين أو أدنى، وقد أجمع المسلمون على معراج محمد ، ولم تزل ذكرى المعراج تتجددُ في الإسلام إلى يومنا هذا وإلى أن يشاء الله ، ولمَّا عرج محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم في السابع والعشرين من شهر رجب، وصعد إلى السماوات السبع، وصلى بالملائكة، وجاز المقربين ، وحملة العرش، ووصل إلى حجب اللاهوت زجَّه بها جبرائيل وتأخر عنه قال له: حبيبي يا جبرائيل لِمَ تأخرتَ عنِّي ؟ قال له: يا رسول الله أنَّ هذه الحجب التي دخلتَها لم أدخلْها أنا ولم يدخلها ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌ مرسلٌ، ونور اللاهوت يرفعه إليه ، وهو فيه وحده ، فناداه الله عزَّ وجلَّ: آمن الرسول بما أُنزِلَ إليه من ربِّه*قال الرسول صلوات الله عليه وآله: والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله*وقال القوم:سمعنا وأطعنا غفرانَكَ ربَّنا وإليك المصير*(البقرة285)

وقال الله مخاطباً لرسوله: لا يكلِّفُ اللهُ نفساً إلاَّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت*(القرة286) وقال الرسول(ص)ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربَّنا ولا تحمِّلْنا ما لا طاقة لنا

به وأعفُ عنَّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين*(286) صدق الله العيُّ العظيم، وبلَّغ رسالتَه النبيُّ الكريم ، أيُّها المؤمن بالله ورسله وكتبه، أنظر إلى خطاب الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآيات ومنها: ولقد رآه نزلةً أخرى*(النجم13) فلو كانت الرؤيا ممنوعة عن الحق ، ومستحيلة عليهم لم يذكرْ الكتابُ البصر بقوله: ما زاغ البصرُ* فذكره للبصر يؤكِّدُ الرؤيا والتجلي ويبطل قولهم رآه بقلبه ولم يره بعينه0

أخي المؤمن إذا تأملَّتَ القرآن المجيد وجدت اللهَ يخاطبُ آدم وذريَّته بقوله تعالى: وإذ أخذ ربُّكَ من بني آدم من ظهورهم ذريَّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربِّكم قالوا بلى*(الأعراف172)فكيف يسألُ اللهُ أقواماً لا يرونه ، ويقول لهم ألستُ بربِّكم وهم لا يرونه؟ وكيف يقولون مجيبين بكلمة بلى بلا رؤية؟ وهل تتمُّ معرفته بدون رؤيا ، وهل تصحُّ شهادتهم له بدون مشاهدة؟ فإذا كان القانون للخلق لا تجوز الشهادة بظهر الغيب من عبدٍ على عبدٍ آخر مثله، فكيف تجوز الشهادة من عبدٍ لباريه لقوله تعالى: وأقيموا الشهادة لله*(وما في معناها ولا تصحُّ الشهادة بالغيب شرعاً ، ولا أصلاً من المشاهد عدلاً والشاهد بغير نظر العين جائر، والمشاهدة بنظر العين هو الحاضر المؤدي الشهادة والأمين في شهادته0

وكما خاطب الله آدم وذريتَه خاطب إبليس أشرَّ خلقِه ليكون العدل شاملاً تامَّاً وذلك قوله تعالى الذي يعني به إبليس:إذ قال ربُّكَ للملائكةِ إنِّي خالقٌ بشراً من طين*فإذا سوَّيتُه ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين* فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون* إلاَّ إبليسَ استكبر وكان من الكافرين*قال يا إبليسُ ما منعكَ أن تسجدَ لما خلقتُ بيدي أستكبرتَ أم كنتَ من العالين* قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقتَه من طين*قال فاخرج منها فإنَّكَ رجيم* وإنَّ عليكَ لعنتي إلى يوم الدين* قال ربِّ فانظرني إلى يومِ يبعثون*قال فإنَّكَ من المنظَرين*إلى يومِ الوقتِ المعلوم*(ص 81/71)صدق الله العليُّ العظيم بما أخبر في كتابه الأكرم من خطابه لخلقه أجمعين بقوله تعالى مخاطباً له بالكاف أي بخطاب الكاف الحاضر الموجود بقوله: فاخرج منها إنَّكَ رجيم*وقوله: وإنَّ عليكَ لعنتي إلى يوم الدين*وخطابه للخلق كافة في الذكر الحكيم بالكاف وميم الجماعة ، وقوله مؤكداً لهم وعلى سبيل التذكير : وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور*(البقرة63)وقوله الحق: وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً *(النساء 154)0

وأمَّا خطاب خلقه له بكاف المخاطب الحاضر بقولهم في الصلاة: إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين*(الفاتحة5)ونقول سبحانكَ ربَّنا ولك الحمد، فلو كان غائباً لم يتجلَّ لهم ، ولم يظهر عليهم لوجبَ وجاز لهم أن يقولوا: إياه نعبد وإياه نستعين ، سبحانه ربنا وله الحمد، وكان الخطاب بهاء الضمير الغائب ، فإنَّه قد بان وثبت خطابه لإبليس أشرِّ خلقه ومعارضته له في آياتٍ عدة من الكتاب، وخطابه لآدم وذريته وخطابه للأنبياء والمرسلين، فهل خاطب تعالى خلقه من سواه وهو يسألهم

ويقول لهم:ألست بربِّكم فهل يسألهم هذا السؤال إلاّ ذو الجلال الرب المتعال، ولا يجوز للاسم أن يسأل هذا السؤال لأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قال: ما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين*(المائدة99)وقال: يا أيها الرسول بلِّغ(المائدة67) وقال: إنَّه لقول رسولٍ كريم*(الحاقة40/ و/التكوير19)وقال: رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطهَّرةً*(البينة2)0

ومن الشرك المباح والكفر الصراح أن نقول: أن الذي شوهد ورؤي على المنابر وقال أنا هو الاسم،فمن قال ذلك يجعل الذات العظمى غيباً منيعاً ، ويجعل الصورة مخلوقةً فقد كفر وقال بهتاناً عظيماً 0

وأبو الخطاب صلوات الله عليه في ندائه قال: أنا الله المألوه، أي لي إله وغاية فوقي، وهو معناي ومولاي الذي نطق الكتاب به حين قال: شهد اللهُ* أي الاسم: أنَّه لا إله إلاَّ هو *أي المعنى(علي)ومن قال الاسم هو المتجلِّي فقد برئ من توحيد جعفر الرفيع الأعلى 0

وقد لخَّص شيخنا قول مواليه أهلِ العصمة وهو أعلم بلحنهم وإشارتهم ، وهو معصوم من الغلط والسهو والنسيان ونقائص الطينة البشرية، فمن يرغب عن رأي السيد أبي عبد الله نضَّر الله وجهه فقد سفَّه نفسه، وتعسَّف في مهامه التيه، وإنَّ مذهب السيد أبي عبد الله هو الإقرار بتجلِّي الذات العظمى ، وإنَّ الصورة المرئيَّةَ هي الذات العليَّة، القائل على منابر عظمته : أنا سمكتُ سماءها، أنا سطحتُ أرضها، أنا أرسيتُ جبالها ، أنا أجريتُ أنهارها 000

وقد قال بعضهم : إنَّ التَّجلي يستلزم صفة الإمكان ، وإنَّ التجلِّي مصدر تجلَّى أي ظهر0 فالتجلِّي المصدر كما قال أهل اللغة هو الحدث الجاري على الفعل كقولك: قام الرجل، فهذه الحركة التي حصلت منه اسمها القيام وهذا لم يكن موجوداً قبل أن يقوم الرجل ، إذن فالقيام لم يكن موجوداً قبل أن يقوم ، وهذا شيءٌ حدث عندما قام لأنَّه فعل أبداه عندما قام، وكلُّ مصدرٍ في اللغة هذا سبيله، ولما كانت كلمة التجلي هي مصدر فإنما يجري عليها ما يجري على كلِّ مصدر من حيث اللغة وبهذا يكون التجلي غير المتجلي لأنه حدثٌ جرى على الفعل، والحدث غير من أحدثه، وقد ذكر الشيخ الفيلسوف أحمد قرفاص، والعلامة الشيخ سليمان أحمد عن الشيخ قدَّسهما الله : أن الظهور غير الظاهر لأنه مصدر ظهر، وإنَّما قولنا هذا لنثبت به أن الحق سبحانه ظاهرٌ بذاته لا بفعله، وأنَّ التنزيه لا يعنِي ولا يفيد النفي بل الإثبات ، وإنَّما تحجبنا عنه ذنوبُنا لقول شيخ الطريقة:

لم يغبْ غير أننَا نحن غـبنا وحُجِبنا عنه فصرنا طموسا
مثلما تُحجَبُ السماءُ بدجنٍ أو بليلٍ لن تستبين الشموسا

فحين قال تعالى:ألستُ بربِّكم قالوا بلى*كان هو المخاطِب لهم بلا واسطة كما هو واضحٌ، والشاهد قوله تعالى: وما خلقتُ الجنَّ والأنسَ إلاَّ ليعبدونِ *(الذاريات) أي ليعرفوني، ومحالٌ أن يعرفوه إن لم يكن متجلياً ظاهراً ، وهو لم يظهر إلاَّ بذاته

كما لا تصحُّ العبادة إلاّ لذاته ، وكيف تصحُّ عبادة من لم يعرف ربَّه لأنَّ المعرفة مقرونة بالمشاهدة ، ولو كان ظاهراً بغيره لكانت العبادة والمعرفة لذلك الغير ، ووقع العالم بالشرك والكفر ، وهذا مناقض للحكمة، وداعياً لعبادة غيره ، وهذا من المحال ، ولو لم يكن يظهر بذاته لما ثبتت حجَّتُه ولا اتضحت محجَّتُه لأن من عبد مجهولاً فقد وقع على المجهول ، ولم يعبد شيئاً ، ولأن من غاب فلا يرى، يوشكُ أن لا يكون شيئاً ، وقد قال شيخنا مدحاً بالإمام:

كلَّما نابني من الدَّهر خطبٌ صحتُ يا جعفراً إله الأنام

ذلك لأنَّ عابد الغيب المتخبط في الريب لابدَّ أن يتصوَّر الحقَّ سبحانه لأنه ليس في مقدرة الإنسان أن يتصوَّر العدم ، وهذه الصورة التي يتصوَّرُها الذهن ، ويوحيها الخيال إنما هي من عمل الذهن ، وتخيَّل الظنّ والوهم ، وهي على التحقيق غير الحق تعالى، وهذا واضحٌ فقد قال مولانا الإمام: التوحيد أن لا تتوهمه0

ومن عبَدَ هذا فإنَّه عبد مخلوق مثله، وبهذا يتضح قول المولى الرفيع الأعلى الإمام جعفر منه الرحمة: من عبد مالا يرى لم تصح عبادته0 نهياً عن التوَّهم حتى لا يعبد العبدُ المؤمن ما تتصوَّره أوهامه وتخيلات نفسه أعاذنا الله والمؤمنين من ذلك كما جاء في الشهادة في محض العبادة: أشهد أن هذه الصورة المرئية هي الغاية الكلية0 والغاية ليس وراءها لطالب مطلب ، وهي نهاية ما يقصده القاصد 0

وقد جاء عن النقيب محمد بن سنان في عهد الإمام الصادق : إنَّ الله لا يظهر إلاَّ بغايته، يعني بصورته، لأنَّ الظهور لا يكون إلاَّ بصورة لحاجة المخلوقين إليها ولو لم يكن يظهر بصورة لما عرفه أحد ، ولا عرِف كيف يشير إليه المشير في عبادته فقوله: الصورة المرئية: ينفي أنَّه لم تكنْ رُئِيت مرَّةً في غابر الزمن ومضى الأمر ، ولكن ظهر فيها فيما مضى ولم تزل ظاهرةً ترى الآن ولآخر الدهر بدون حدٍّ ولا كيفِ ولا حصر0

وقوله المرئيَّة: فالألف واللام منها للعهد المعهود رؤيتها في سائر الدهر، وفي الأصيفر ما فيه الغنى والكفاية والإشارة لهذا المعنى مثل قوله عن الإمام الصادق منه الرحمة: من قال إنَّه لا يُرى فقد أحال ‘إلى عدم، ومن قال: إنَّه غير مشاهَد فقد أحال إلى غائب، ومن قال : أنه محتجب عن خلقه فإنَّما عنى غيره0

وأنَّب تنبيهاً وتلويحاً فقال: كيف تقول أنَّ هذه الصورة المرئية وأنت ما رأيت ولا عاينت الغيب والحضور ، ولا حضرت زمان الظهور، وكيف تشهد بما لم تعلم صحته ولم تحقق رؤيته؟

وقال ذلك إثباتاً للرؤية حين الشهادة، ونفياً للغيبة لأن الشاهد يقول: أشهد أن هذه الصورة المرئيَّة ، فينبه المرء الشاهد أن يشهد معاين ولا يشهد لغائب مفقود، فالواجب عليه أن يعلم ويحقق ما يقول بشهادته 0

اعلموا إخواني وأسيادي لو لم يكن الحقُّ ظاهراً بذاته ،دائم الظهور والوجود لم يكن شيخ الطريقة أوضح قدَّاس الإشارة وأعلن بالشهادة لحاضر لم يغب قط لقوله:

هو الظاهر الذي لم يغـب قطّ عن العارف العالم الخبير

كما بين في رسالته شرَّف الله مقامه بقوله:

إنَّه لم يزل متجلياً لأهل خاصته في الأكوان الستة إلى أن ظهر لهم بالناسوتية البشرية وأمكنهم من النظر إليه فرأوه بلطف ذواتهم ، وبذلك احتيج إلى المعارف ونسبة المكان لأنَّ الناظر لا يرى إلاَّ ما يقابله في المكان وهو يجلّ عن الزمان والمكان ، ولما خلق الله هذا العالم ، وقرن أرواحهم اللطيفة في هذه الأجسام الكثيفة المظلمة، فحين تجلى لهم كشف عن أبصارهم حجاب الظلمة فرأوا من ذاته في حدِّ عجزهم ، وكلال بصرهم بقدر طاقتهم واستحقاقهم0

وفي رسالة شيخ الطريقة: ما فيه الشفاء والهدى كما جاء بالرسالة: إنَّ الاسم يراه بما لا يراه الباب ، والباب يراه بما لا يراه اليتيم، وكلٌ يراه بما لا يراه من هو دونه ، ولا يستوي اثنان في درجةٍ واحدة، لانَّ رؤية عالم النور هي معرفتهم لعزَّته تعالى، ومن لم يأخذ معرفته عن أهل العصمة فقد ضلَّت به السبل0

وقد كان للأئمة علينا من ذكرهم السلام مجالس خاصة وعامة، ونحن بحمد الله أخذنا علمَنا ومعرفتنا عن شيخنا الذي لم يروِ لنا من التوحيد إلاَّ ما أورده عن مجالسهم وعلومهم الخاصة، ولا نعدل عن السر الصميم الخاص لأجل ما رووه من الأحاديث العامة، لأنَّ طرق العلم ثلاث:

تصريحٌ خاص للخاصة، وتلويحٌ للطلاب والقاصدين بقدرِ قبولهم،وتعريضٌ وستر عن الجاهلين لقوله تعالى عن لسان رسوله نوح مخبراً عن المعرضين عنه قال: ربِّ إنِّي دعوتُ قومي ليلاً ونهارا*فلم يزدهم دعائي إلاَّ فراراً*(نوح6/5) ثم قال في التصريح والكشف: ثمَّ إنِّي دعوتهم جهاراً* ثم إنِّي أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسراراً*(نوح9/8)أي تلويحاً، وقال الله تعالى: فإمَّا يأتينَّكم منِّي هدىً*(البقرة38 /وطه123) والهدى هو الظهور وهو أمير المؤمنين، وهو الهدى الآتي، وبهذا نطق الشيخ العظيم عن مواليه الكرام عليهم السلام ومن لا يعرفه بما عرفه شيخ الدين ،فإنَّه ذاهبٌ في مذاهب أهل الغي، وقد قال الشاب الثقة عليه رضوان الله: ونحن معاشر المؤمنين بحمد الله عرفنا ما وجدنا وعبدنا من وحدنا0

وقول الأمير حسن قدَّسه الله:

ولوِ ارتأيتَ رايتَه بالعينِ منكَ بعينِه

فقال شارحه العلامة الشيخ سليمان الأحمد قدَّسه الله العليُّ الصمد: أي لو تدبَّرتَ وتفكَّرت لرأيتَه بعينه، في عين رأسك0

وكلُّ سلفِ هذه الطريقة، وإخوان الحقيقة يعلمون ويشيرون في عبادتهم ، ومحض إشارتهم لمولاهم الأنزعِ البطين الظاهر من طور سين الشجرة السامية النامية المنعوتة بالخروج عن حدود الجهات بقوله: زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيَّةٍ يكادُ زيتُها يضيء ولو لم تمسسْه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناس والله بكلِّ شيءٍ عليم*(النور35)

**

*

*

*

*

*

الباب الرابع
في معرفة تنزيه المتجلي
بذاته عن أسمائه وصفاته الموصوفة بها مخلوقاته واثبات الوجود لله الأحد المعبود والإعلان بالشهادة لصورة الوجود أنها هي الغيب المنيع المشهود، المتعالي عن الحدود

أستهل هذا الباب بحمد العزيز الوهاب الظاهر في السبع قباب في هندٍ وسندٍ ونوبٍ وقبطٍ وفرسٍ وعرب، ودعي فعرف بالأسماء والصفات والأنساب والألقاب ، وشرَّع الشرائع وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب، وظهر ليُعرَف وبطن فلم يوصف، فهو في ظهوره للعارفين صورة ذاتية مرئية أنزعية ، وفي بطونه قبل الخلق هو هو كان ولا شيءَ معه لا حدَّ له ولا نظير ولا مثيل ولا عديل ولا شريك ولا شبيه ولا نِدَّ، قائمٌ بذاته، غنيٌّ عن سائر مبتدعاته، لا تجري عليه الأوقات والأزمنة، ولا تحيط به الأقطار والأمكنة ، ولا تضمه الجهات ، لا من شيء كان ولا إلى شيء يكون ، ولا من شيء بدا ولا في شيء ولا على شيءٍ يحمله، ولا شيءَ يظلّه، إذ كان الشيءُ من صنعه ، وإنَّ المصنوع لا يساوي الصانع البديع فخلقه قائمٌ به وهو غنيٌّ عنهم ، فتوحيد إفرادُه عن خلقه ، وإنَّ جوهر ذاته لا يشبه ذواتهم أعاذنا الله من التشبيه 0

ولَّما بدت المشيئة من المشيء، والإرادة من المريد ، وجعل الرتقَ فتقاً ، وكان إيجاد الموجودات كالحركة من السكون ، وذلك بمثابة الفعل من الفاعل ، وذلك أنَّ الفعل غير الفاعل والحركة غير المتحرك والمحرِّك لإيجاد الاسم والباب والعالمين وسائر الموجودات ، أراد أن يتجلَّى لهم ويظهر لخلقه بذاته ليعرفوه، فيعبدوه ويحمدوه، فلم يظهر إلاَّ بذاته لتصحَّ المعرفة به لمخلوقاته بل تجلَّى لهم بذاته المقدَّسة فرأوه بصفاتهم المحدَثة كقول الإمام الصادق منه الرحمة: ظهر للخلقِ من حيث هو فرأوه من حيث هم 0

أرادَ أن يُعرَف فلم يضره أن يوصف، صفاتُه عين ذاته، عليمٌ، قديرٌ، سميعٌ، بصيرٌ، منيرٌ حيٌّ ، موجودٌ ، وذاته غير صفات محدثاته، باينَ خلقَه في قِدَمِه ربّاً ، كما باينوه في حدوثهم خلقاً من نهج الإمام العليِّ العلاَّم ، قريبٌ من الأشياء غير ملامس، بتجلّيه لهم كصفاتهم ، بعيدٌ عن الأشياء غير مباين، تنزيهه عن جوهرهم، وأشكالهم ونعوتهم وأوصافهم0

فهو غيبٌ في بطونه قبل الخلق، وهو هو آنذاك قبل التكوين كان لا يعلمُ ما هو إلاَّ هو ، وفي حال تجلِّيه لهم بالصورتين النورانيَّة والبشريَّة هو هي إثباتاً لجميع ما ورد في الكتاب من اسم هو ، قل هو هي ولم تكن بالحقيقة غيره رب المشرق والمغرب لا إله إلاَّ هو وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلاَّ هو ، شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو، هي هو بالجوهر لا بالصفةِ والمنظر، كما أورد سيدنا قاضي الدين أبو سعيد في رسالة المرشدة: شهد الله الاسم لهو أمير النحل علي ، وكما قال الأمير حسن بن مكزون طيَّب الله ثراه:

أثبتُّ ما عاينتُ من نحوِها بمحو ما عاينتُ من نحوي

أي أثبتُّ المعاجز والقدر بمحو ما عاينت من تحديد الهيئات والصور0

أللهمَّ إنِّيِّ أشهدُ وأعتقدُ أنَّ هذا النور الموجود ليس له نهاية ولا حدود، وأشهدُ أنَّ هذه صورة الوجود هي الغيب المشهود ، الباب الدال وغاية الآمال، وأعتقد إفراد الذات عن جميع الذَّوات والنعوت المحدثات وأشهد انَّه أنزعٌ من صفات المحدثات ، بطينٌ عن إدراك العقول المجردات ، وأشهد أن الصورتين البشرية والنورانية ذاتٌ أحديَّة أزليَّة أنزعيَّة، وإنَّ الأسماء والصفات كلُّها محمديَّة، وأشهد أنَّ الباري الأزل مطلقٌ من حيث ذات نُوره، والخلق يرونه صورة محدودة في ظهوره كصورهم ، وأشهدُ أنه لم يزل عن كيانه وإن ظهر لعيانه كما قال الصادق منه الرحمة: بل هو هو حيث هو ، وحيث كان لم يكن إلاَّ هو ، ولو لم يظهر من غامض علمه إلى وجود معاينته لكان الملك ناقصاً والحكمة غير تامَّة ، لأنَّ تمام البطون الظهور ، وتمام العلم المعلوم ، وتمام القوَّة الفعل ، وتمام الكون التكوين، كما قيل إنَّ القضاءَ وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدَر وجودها متفرِّقة واحدة بعد واحدة كما قال مولانا منه الرحمة والسلام أمير المؤمنين عزَّ عزَّه : إنَّ الله يعطي الأشياءَ وأوقاتها فيسوقُ ما وقِّت على ما قدِّر0

لأنَّ الموجودات ظل الوجود وبقاء الظل ببقاء العمود، والظل غير العمود والواجد غير الموجودات0

فالإيجاد: له صفتان: صفة التكوين والإبداع، وصفة البقاء والاستمرار ، فحفظه لها من العدم كإيجادها من العدم، ودوامها به إيجاد والله على كلِّ شيءٍ حفيظ0

إنَّ الوجود في الباري أي به قيامه ودوامه الأعلى جهة الخروج والدخول، والباري في الوجود علمه وظهوره لا على سبيل الحصر والحلول، كما هو منقول عن الإمام منه الرحمة والسلام: ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج0

وإنَّ الوجود المطلق للباري خاصٌّ ولغيره ممكن ، وفيما قال العلاَّمة الشيخ سليمانُ الأحمد قدَّسه الله الفرد الصمد في شرح ديوان الأمير قوله تفصيلٌ لما أجمله الموحدون وإيضاح ما أُبهِمَ من وصفهم الذات العظمى، والحد المجهول وصفة القهر والجلال ، وصورة اللطف والجمال والحد المعلوم هو شمس الشموس ، هي قمر الأقمار ، والجامعة محاسن الصفات، الخمرة والغيب والقدرة المطلقة،الكؤوس

معها الحلل الثلاث المشرقة0
وقول الشيخ منصور الغرابيلي قدَّسه الله:
شمسٌ تبدَّت مشرقاً بصفاتي هي سرُّ توحيدي وعقد ولاتي
وأشهد أن الغيب مشهودٌ في صورة الوجود ، ظاهرٌ بذاته مشهود بصفاته، أقرُّ له بالحالين ، وأخرجه عن الحدين، حدّ التشبيه بخلقه، وحدِّ التعطيل وإبطال الظهور ، فالواجب على المؤمن أن يكون منزِّهاً لظهور مولاه لا مشبِّهاً له في خلقه مثبتاً التجلِّي والظهور ، نافياً التشبيه والتحديد والاتحاد والحلول، كما قال جلال الدين صاحب الجدول قدَّسه الله تعالى:لانَّه تعالى ليس في ذاته اختلاف يوجد إبداع صفة من وجه وقبولها من وجه آخر، فلو لم يثبت ظهوره وتجليه ما وجب على عباده التنزيه عن التشبيه لقول صاحب الجدول:
عمَّن تنزِّهه إن كنتَ تعرفه وما له صفةٌ تحكى ولا جسد
وكما قال محمد بن مقاتل صاحب المصرية قدَّسه الله تعالى:وانَّه مما روي عن مولانا الحسن المجتبا منه السلام وإليه التسليم أنه رأى مولانا أمير النحل عليّاً جلَّ جلاله مقبلاً فقال له: لقد أفلحَ من عرفكَ ظاهراً وآمن بكَ باطناً : يريد أنَّه أفلح من أقرَّ لهذه الصورة المرئيَّة بالمعنويَّة وعرف أنَّ الذات الأزليَّة ظاهرة بهذه الصورة المرئية فمن أراد أن يأخذَ معالم دينه عن مولاه الحسن فقد اتضح له الحق أنَّ هذه الصورة النورانيَّة هي الغيب المنيع الممنوع الإدراك والإحاطة0
كما روي عن مولانا الصادق منه الرحمة أنَّه جاءه رجلٌ فقال له الإمام: يا رجل لا تُشرِكْ بالذي تراه شيئاً0 فقال الرجل: أعوذ بك يا مولاي0 فقال له الإمام: إنَّ الذي تراه في السماء هو الذي تراه في الارض0 فقال له الرجل: أشهدُ أنَّكَ أنتَ هو 0 فقال له: أكتمْ ذلك يرحمْكَ الله0
فأبان الصادق لخاصته أنَّه هو الظاهر في السماء والأرض كما قال شيخ الطريقة رضوان الله عليه:
كلما نابني من الدهر خطبٌ صحتُ يا جعفراً إله الأنام
وكما جاء في كتاب الأكوار والأدوار لأبي شعيب عليه الصلاة والسلام في نداء أبي الخطاب صلوات الله عليه ووعى الثقلان لذلك النداء كأذنٍ واحدةٍ من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والأنس والجن والهوام والدبيب وكل ذي روح ناطق وحس حين قال: أنا محمد بن عبد الله رسول الله إليكم وأنصح لكم ألا أنَّ ربَّكم وخالقكم ظاهرٌ بينكم ، حالاً بين أظهركم يمشي في أسواقكم ، ويحلُّ في آفاقكم ، ويجلس في محافلكم يشافهكم خطاباً ، ويعيد إلى سؤالكم جواباً لا حجاباً يواريه عن مشاهدتكم ، ولا حيثٌ يكنه عن ملاحظتكم ، أمرني فقلت، وأرسلني فبلَّغت ألا فاقصدوه فهو جعفر بن محمد ربُّكم الأزل والسابق قبل قدم الأول، وهو غاية كل طالب وأمل كل راغب ألا وهو علي بن أبي طالب 0
فهذا نداء أبي الخطاب كنداء الغدير ، ونداء الذرو الأول، فلا شك من أنكر

الظهور فقد أنكر النداء في الذرو الأول وهو كافر بموجب إجماع هذا البيت الشعيبي، ومن قال إنَّ الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين إنَّهم بشرٌ ، ومال بقلبه إلى أقوال الشيعة الإمامية كان مشركاً لقول مولانا الباقر منه الرحمة والصادق أيضاً ، وهو ما أورده الجلي وأبو سعيد عليهما السلام في كتاب مجمع الأخبار للجلي: من شبَّهنا فقد أشرك بنا، نحن مشاكي النور ومعانيه والشاهد والمشهود لطالبه0

أي من شبَّههم في خلقه كان مشركاً ، ولم يكن عند الله وجيهاً من لم يعلم التنزيه عن التشبيه لسيِّده وباريه ، فالإيمان هو الإقرار بتجليه والعمل والثواب هو التنزيه لخالقه ومبديه عن صفة ما يليه فهذا خير الزاد ليوم المرجع والمعاد وهو الإقرار بصورة الإيجاد، وتنزيهها عن صفة العباد كما قال شيخ الطريقة نضَّر الله وجهه:

لكنَّها قدرة الإيجاد خالقةٌ ليست بمخلوقةٍ إن كنتَ مستبنا

جلَّت حقيقة الذات عن مجانسة الأجناس المتجزِّئات ، والأنواع المتنوعات ، والأضداد المتباينات التي تجري في عدد الكميات ، وتتصف في الكيفيات ، وتحد في الأينيات ، وتصدر عن الماهيات ، فكان بدء تلك الأجناس مكيفاً موصوفاً آنياً محدوداً ومجزَّءاً كميَّاً ومتنوِّعاً جوهرياً محدوداً بحدود النهاية مدفوعاً لغاية، فهي على ما هي عليه من اختلاف جواهرها كل جزءٍ من تركيبها غير الآخر نوعيَّاً داخله في حدٍّ من البداية إلى حدِّ الغاية والنهاية، تجري في نظامٍ معلوم بأمر الحي القيوم علمتَ أم لم تعلمْ0

هذه هي المصنوعات فسبحان الصانع الحكيم الذي هو أحدٌ فردٌ صمدٌ جزءٌ أصمٌّ لاهوتٌ نورٌ مطلقٌ لا حدَّ له ولا نهاية0

ولقد استدللنا على أنَّ أمير المؤمنين هو الذات العظمى الذي وجب حقَّه وطاعته على عباده من حيث أرشدنا إليه في كتابه من الإمارات الخمس التي لا يأتي بها سواه، وهي قوله: إنَّ اللهَ عنده علمُ الساعةِ وينزِّلُ الغيثَ ويعلمُ ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت إنَّ الله عليمٌ خبير *(لقمان 34)وإنَّ أمير المؤمنين أخبر عنها ، وأتى بها جميعاً فقال في علم الساعة لأويس القرني: يا أويس إنَّ الساعة تكون في يوم كذا وكذا، وسمَّى اليوم بعينه ، وأمَّا تنزيل الغيث: فإنَّه أنزل الغيث على بني دارم، وأما علم مافي الأرحام:فقصَّة أولا د سبأ لا تخفى على الملأ وحديث ابن الخضخضة وغيره، وأمَّا ما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً فإنَّه قال لمن كان معه يوم الخوارج : لا تجزعوا يذهب منكم بعدَّة ما يبقى منهم ، فكان ما بقي من الخوارج تسعة بعدد ما ذهب من قومه ، وقال لهم: لو شئتُ لأخبرتُكم ما في بيوتكم وما تدخرون ليوم القيامة، وبأيِّ أرضٍ تموت: فإنَّه كان ما جرى مثل ذلك يوم النهروان كان يقول لقومه: اذهبوا إلى الموضع الفلاني تجدوا فلان بن فلان ، وكان ينبئ أصحابَه كلاًّ منهم كيف تكون

ميتته وممَّا قال لعمَّار: يا عمَّار ستقتُلُكَ الفئةَ الباغية، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن0

ولو شئنا إيراد مثل هذه المعاجز لطال الخطاب واتسع الكتاب فشهد المؤمنون كلُّهم لباريهم حين قال: أنا أمتُّ وأحييت ، وعلى العرش استويت، ولموسى ناجيت ، لا دافع لما أردت ولا راد لما قضيت، وإنَّ هذه الصورة المرئيَّة هي الغاية الكليَّة وليس وراءها لطالبٍ مطلب، وهي التي قال عنها الإمام الصادق برسالة المفضَّليَّة : إذا أراد الله أن يظهر لخلقه بدا بثلاث حجب، منها يجب ذاته بنوره، ونورَه بضيائه، وضياءه بظلِّه، وهنَّ أنوارٌ لا أجسام ولا أبشار ، والحجاب هنا عينُ المحتجِب، وهم ذاتٌ واحدة تعدَّدت بنظر المحجوبين وهي وحدة صرفة لا تعدد فيها ولا مدخل لشيء فيها ، وهي التي عبَّر عنها صاحب الأسوس بقوله: لا داخلة ولا خارجة0 أي لو كانت داخلة تحيَّزت إلى جهةٍ ما ولو كانت خارجة تحيَّزت إلى جهةٍ ما أيضاً ، وهذه صفات الأجسام ، ولكن الله سبحانه وتعالى تنزَّه عن ذلك كما قال سيدنا المكزون قدَّس الله روحه:

واستوت نسبة الجهات إليه مع تعاليه عن حدود الجهات

ولا نطيل الحديث في هذا المعنى لأنَّ كل كتب هذا البيت الشعيبي تدلُّ على ذلك والدلالة واضحة لأهل التوحيد إنَّ هذه الصورة المرئيَّة هي الغاية الكليَّة وهي الذات الأزلية ، وهي العين العلية القائل على منابر عظمته تصريحاً: ظاهري إمامة ووصيَّة وباطني غيبٌ لا يُدرك بالكلية، وهي الشجرة النامية الطالعة من طور سيناء المنعوتة بالخروج عن الجهات والحدود الموصوفة بالذكر الحكيم بقوله تعالى: لاشرقية ولا غربيَّة، وهي عين الذات والنور الزاهر المشرق في سائر الكرات والرجعات وعود أعياد الظهورات ، الآخذ من عباده العهد والميثاق بالإقرار بالإيجاد والإثبات ، ونفي الحركة والسكون والحدود والجهات ، وعن خطٍّ يحيط بنوره أو تعاقب صفة حدث على مشهد ظهوره ، والله بكلِّ شيءٍ محيط ، وما بكم من نعمةٍ فمن الله0

الباب الخامس

في معرفة كيفيَّة التجلي، وإفراد المتجلِّي عن صفات خلقه

وسنورده من محلِّه كما هو موجود في شرح باب التجليات من كتاب مجموع الأعياد لأبي سعيد رضوان الله عليه ولا يخلو إيراده من تقريب معانيه، وتذكيراً للمؤمنين أنَّ مذهب شيخ الطريقة ، وقدوة أهل الحقيقة مبني على الإقرار بتجلِّي الذات العظمى وكل خصيبي يقول: في أول إجابتي بالإقرار، أعني لهذا المظهر، وناكر التَّجلي ملحدٌ لقول مولانا الإمام الصادق منه الرحمة في كتاب التنبيه للفيلسوف حسن بن حمزة الشيرازي قدَّسه الله حيث يقول صادق الوعد: من تمسَّكَ بالظاهر الصرف فهو حشوي، ومن تمسَّكَ بالباطن الصرف فهو ملحد، وأما أغلبية الشيعة تقرُّ بالظاهر الصرف للأئمة وإنهم بشرٌ ، وتعتقد أنَّ الله غيبٌ صرفٌ فهم

حسب قول المولى الصادق منه الرحمة: حشويَّةٌ وملحدون بالإقرار للظهور، وقد آمنوا برسوله، ولم يؤمنوا بنوره لقوله تعالى: آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون*(الأعراف 157)فمن الخلق من يقول أنَّ الله غيبٌ ، ومنهم من يقول إنَّه ظلمةٌ ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاَّ أن يُتِمَّ نورَه ولو كره الكافرون *(التوبة32)فالإمام الصادق منه الرحمة حجَّةٌ على خلقه وهو يقول: اعلم يا مفضَّل إنَّ مولاك لم يزل ظاهراً في هذا النور الزَّاهر في سائر أكواره وأدواره ليعرفه المؤمنون وينكرَه الجاحدون 0

نعم لقد عرفنا وأقررنا ، وعرفوا وجحدوا وليس من حجَّة للمخلوق على الخالق ، ولنرجعْ إلى ذكر باب التَّجلي حسب ما ذكره الشاب الثقة قدسه الله وهو قوله: اعلموا إخواني أنَّ معرفة التجلِّي سرٌّ صعبٌ مستصعب يدخل عارفه إلى الحقِّ مدخلاً كريماً وبهذا السر فاز القليل من الكثير وذلك أنَّنا لمَّا رأينا نشآت التجليات ستة أصناف أشرق بها النور واطلع على لمحدثات بأوصافها وخاطب الخالق خلقه بحدودها وهي الستة الأيام التي خلق الله بها السماوات والأرض وما بينهما،أعني الستة الأوقات التي هي التجليات الستة بالحكم المعلومات إلى أن قال: إنَّ معلَّ العلل الكليات الأصليات تثبيته حرَّك حرف السكون الستة تحريكات وهي الستة الأسباب النوعيات وهنَّ المسميات إفراج ازدواج حمل تثبيته ستة حلول، وقول أرستطاليس ودنياطوس الأول من شكلِ ما فسَّره موالينا أهل البيت وإن تقدَّمت أوقاتها وذلك إنَّ مولانا باقر النور منه الرحمة قال: إنَّ التجلِّي كشفُ الحجاب عن أبصار المتجلَّى لهم بقدرته عند الظهور على ستة ضروب:

أوَّلُها: التجلي للشيء كالشيء،والثاني: التجلي من الشيء

والثالث:التجلي على الشيء، والرابع: التجلي كالشيء، وفي نسخة:مع الشيء: كقوله تعالى: وجاء ربُّكَ والملكُ صفاً صفاً0

والخامس: التجلِّي بالشيء، والسادس : التجلي في الشيء،والدَّليل على هذه التجليات الستة من كتاب الله :

فأمَّا التجلي للشيء كالشيء:فلمَّا تجلَّى ربُّه للجبلِ جعله دكَّاً*(الأعراف 143) 0

وأمَّا التجلِّي من الشيء كقوله تعالى: فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعةِ المباركة من الشجرة أن يا موسى إنِّي أنا الله ربُّ العالمين*(القصص30)

وأمَّا التجلي على الشيء كقوله تعالى: الرحمن على العرش استوى*(طه5)

وأمَّا التجلي كالشيء: هو تجليه كالإزالات المثلية وظهور الحق لكلِّ جنسٍ كجنسه0

وأما التجلي بالشَّيء كقوله تعالى: هل ينظرون إلاَّ أن يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام*(القرة210)

وأما التجلي في الشيء وهو قوله تعالى:وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم*(الزخرف84)

1- **فأما التجلي للشيء فلما كان الخلق مخلوقين للعبادة والمعرفة لقوله تعالى: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً*(ص27) بل للعبادة والمعرفة ظهر لهم كأمثالهم واظهر التسبيحَ والدعاء وانَّه تعلم من رسول الله، هذا ما أوراه في الظهور، وأمَّا في البطون بالحقيقة هو ربٌّ لا مربوب ، خالقٌ لا مخلوق، معبودٌ لا عابد، وهذه هي المحنة0**
2- **وأمَّا التجلي من الشيء: إن الخلقَ مخلوقون من الأكوان الستة، من شيء، فظهر لهم من شاطئ الوادي الأيمن وناداهم من الشجرة، وكلمهم من صورة ومن حدود هذا ما أظهره لهم في حدِّ التشبيه ، وظهوره ليُعرِّفهم نفسه ويدلهم عليه ، وأما في بطونه وحد التنزيه المطلوب من خلقه إنَّه هو كما هو لا حدَّ له ولا نهاية له ولا من شيءٍ بدا ولا إلى شيءٍ انتهى، وهو الأزليَّة العظمى التي لا تُدرك بمِن البداية، ولا تنتهي إلى غاية كما قال: هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، وقال : أنا الأول لا من شيءٍ ابتدأت والآخر لا إلى شيءٍ انتهيت، هذا ما قاله وأخبر به عن نفسه0**
3- **وأمَّا التجلي مع الشيء: مع الخلق ، والخلق أنواع كثيرة ، ملائكة وأنس وجن وجان وآدميين وأهواء وماء وسماء000 ظهر لهم ومعه ملائكته ورسله، وظهر مع خلقه في مكانهم وزمانهم ، هذه صفة الظهور ووجه التشبيه والدلالة عليه يوم ترونه قريباً من صفاتكم ونراه بعيداً في حدِّ التنزيه والبطون في القدم ،كان ولا مكان ولا زمان ولا شيءَ معه تعالى من ليس على شيء فيحمله، ولا في شيء فيحيط به ، وليس له فوق فيظلُّه، ولا تحت فيقلُّه، ولا جوانب فتعجله ، ولا وراء فيسنده ، ولا أمام فيحده، جلَّ عن التجديد والتقدير والتبديل والتكييف والتصوير فتبارك وتسامى الذي بيده الملك وهو على كلِّ شيء قدير 0**
4- **التجلي كالشيء:وهو التجلي كالإزالات المثلية، وكصورة اسمه آدم ،ففي ظهوره أظهر الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والعم وسائر الثلاث خمسات في سائر الأكوار والأدوار مع سائر أجناس الأمم من هند، وسند، ونوب، وقبط، وعجم، وعرب، فهذه هي المحنة الكبرى ، فهذا وجه التشبيه ظاهراً،ثمَّ أظهر القدرة الإزالة حجب المحنة ، فمن آمن بالقدرة والمعجزة التي هي من جهة الباري وأثبتها فاز ونجا،هذا وجه التنزيه له، ومن نفى وكذَّب القدرة، وأثبت العجز الذي هو وجه التشبيه بخلقه من جهة المخلوق فقد هلك وضلَّ وغوى، فتعالى من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم0**
5- **التجلي بالشيء: أظهر بظهوره بالشيء أنَّه موجود بالجهات والحدود وأنك تطلبه بمكان ، وتراه بصفة خلقه، هذا من حيث الخلق وجهلهم وصفتهم ،**

ووجه التشبيه بالخلق الذي من أثبته هلك، أما وجه التنزيه، وصفة الحقِّ من جهته فليس له حدٌّ ينال، ولا شكلٌ تضرب به الأمثال ، ولا سماء تظله، ولا أرض تقله ، ولا مكان يحويه، ولا يحيط به شيء ، ولا هو من شيء ولا في شيء ، ولا على شيء بل هو محيطٌ بكلِّ شيء لقوله جلَّ وعلا:إنَّه بكلِّ شيءٍ محيط* (فصِّلت54)

وأما التجلي على الشيء: فلما كان الخلق على الأرض وكلُّ شيءٍ في مكان وعلى شيءٍ فكلُّ الكائنات على شيء محمولة على سطح الأرض فرأوه بصفتهم، ورأوه على الغمامة، والغمامة تحمله يوم خبر سلمان والمقداد وأبي ذر، وورودهم دار أمير المؤمنين فخرجت إليهم فضة فقالوا لها: يا موفَّقة أين مولاكِ؟ فقالت لهم: تقول لكم مولاتي فاطمة إنَّه عرج إلى السماء يقضي ويمضي في بروجها ، فجلسوا مليَّاً فإذا هو نازلٌ من السماء على الغمامة، والغمامة تحمله وفي يده ذو الفقار وهو يقطر دماً ، فقالوا له: يا مولانا ما لذي الفقار يقطر دماً؟فقال: أنكرت وتناكرت طوائف من الملائكة في الملأ الأعلى فطهرتُهم بسيفي هذا، وأشار لذي الفقار0

فقد رأوه على العرش، ورأوه على الغمامة، ورأوه على الأرض ، ما كذَّب الفؤاد ما رأى ، كلُّ تلك الرؤية إثباتاً للوجود ، ولتثبت المعرفة وتُعرف مواقع الصفة ، وفي حال التنزيه: المحمول والموضوع صفة الخلق وإن أظهرهما الباري فهما فعلان من أفعاله جلَّ وعلا كما أخبر الله عنهما بقوله: إنَّا حملناه في الفلك المشحون*(يس 41)والفاعل غير أفعاله، فإنَّ أفعاله كثرة محدثه، وذاته أحدية مقدَّسة، وأنَّه تعالى رسم بقلم القدرة أنواع الصفات فقال: كن :كاف الحركة، ونون السكون ، وجعلهما صفةً مقدَّرةً في العيون فقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون *(القلم1) قال صادق الوعد منه الرحمة: ن :الذات، والقلم الجاري في الظهورات، فالجاري الغيبة والظهور والحركة والسكون ، والذات وراء حجب الامتحان وتثليث الصفات قوله تعالى: ربِّ اجعل لي آيةً قال آيتكَ ألاَّ تكلِّمَ الناس ثلاثة أيَّامٍ إلاَّ رمزاً* (آل عمران 41)فالأيام الثلاثة على وجه التشخيص شخص يوم الأحد السيد محمد، وهو الكون السابع قدس المعرفة ، وموقع كل اسمٍ وصفة فلمَّا أبدعه من نور الذات جعله موقع الأسماء والصفات فظهر له من الطور الأيمن ، فالمِن للفاعليَّة وليست للتجزئة0 وأمَّا التجلي على: كقول مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة:الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله، وقوله تعالى: الرحمن على العرش استوى*(طه5)ليس بمعنى الجلوس على العرش،فقوله على العرش استوى،أي على الملك احتوى كمثل قوله الحق:جئتَ على قدرٍ يا موسى*(طه40)أي على صفةٍ تماثلني، فلما كان الخلق على من شيءٍ وعلى شيءٍ، وكل مخلوقٍ في مكان وهو عليه ساكن فظهر لهم أنه يمشي على الأرض ، وقال لهم بما يفهموه أنَّه على العرش ، وعلى الكرسي، هذا ما أوراه لخلقه البشر أنه على الأرض ولعالم الملكوت إنه على العرش ، وهذه صفة المخلوق أنَّه محمول بقوَّة سواه ،فهذا وجه التشبيه بالخلق ، وأمَّا

صفة الخالق ووجه التنزيه هو أن تعلم انَّه مبدع العرش والكرسي وبه قيامهما ووجودهما ودوامهما وانَّه عليٌ علا لا بجهةٍ ما ولا لحدٍّ ما ، بل النور المطلق بلا حدٍّ ولا قيد ولا نهاية، نورٌ أعم يراه الناظرون كلٌّ بحدِّ قوته وقدر طاقته، وهو لا حدَّ له ولا نهاية0

ولنعدْ لذكر الأيام الستة التي خلقَ الله تعالى بها السماوات والأرض لقوله عزَّ وجل : هو الذي خلق السماوات والأرضَ في ستَّة أيَّامٍ ثمَّ استوى على العرش* (الحديد42) فالكن الأوَّل محمد وهو الكن الآمرية لقوله تعالى: إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون *(يس82) 0

فالكون الأول: هو قدس المعرفة، وهو محمد وهو شخص يوم الأحد منفرداً عمَّا سواه0

والكون النوراني الأوَّل: وهو سلمان(ص ع) وله من الأيام الاثنين وجهة فوق 0

الكون الثاني الجوهري: وهو المقداد(ص ع) وله من الأيام الثلاثاء وجهة شرق، والمشارق 50 درجة0

الكون الثالث الهوائي: وهو أبو الذر(ص ع) وله من الأيام الأربعاء، وجهة غرب ، والمغارب 50 درجة0

الكون الرابع المائي: وهو عبد الله بن روَّاحة (ص ع) وله من الأيام الخميس، وجهة جنوب0

الكون الخامس الناري: وهو عثمان بن مظعون (ص ع) وله من الأيام الجمعة وجهة الشمال0

الكون السادس الترابي: وهو قنبر بن كادان (ص ع) وله من الجهات جهة تحت ومن الأيام السبت0

فإذا كان السيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم منفرداً عن الأكوان الستة وهو غير معدود من جهة الخلق ، ولا داخل في عددهم لقوله عزَّ وجلَّ: ويحذِّرُكم الله نفسه00*(آل عمران 28) ونفسه المحذرة هي السيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد حذَّر العباد أن يجعلوه مخلوقاً كالمخلوقات أو محدَثاً كالمحدثات ، فتبقى الأكوان لستةٍ ، وقد أورد السيد أبو عبد الله عليه الصلاة والسلام في رسالته أنَّ سلمان أوَّل الأكوان ، وهو الكون النوراني حسب الترتيب الموضوع هاهنا وهذه هي الأكوان الستة، وهي ستة في ستة0

فالأكوان ستة: نوراني، جوهري،هوائي، مائي،ناري، ترابي0

والأيام ستة:الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت، والأحد منفرد0

والجهات ستة: فوق،يمين،شمال، وراء، أمام، تحت0

والحركات ستة: بحسب اتجاه الجهات إذ من المعلوم أنَّه لا تكون الحركة إلاَّ

إلى جهة0

والتجليات ست: للشيء، من الشيء، مع الشيء، كالشيء، في الشيء، على الشيء، بصفات التجليات الست أي بصفة الأكوان الست لأنَّ الباري تجلَّى لكلِّ كون كصفته ، والحركات داخل الجهات الست ستة أيضاً فالحركة المستديرة تجمع ست جهات جنوب وشمال وشرق وغرب وصعود وهبوط0

وروي عن السيد الرسول الاسم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: أنَّه نظر إلى فوق فكان من نور نظرته سلمان، ونظر إلى يمين فكان من ضياء نظرته المقداد، ونظر شمالاً فكان من نظرته أبو الذر، ونظر إلى وراء فكان من نظرته عبد الله بن روَّاحة، ونظر أمامه فكان من نظرته عثمان بن مظعون ، ونظر تحت قدميه فكان قنبر بن كادان الدوسي، فرأت العباد تجليه بصفة الحركات، وذكر القرآن الجهات الست بقوله:يوم تعرج إليه الملائكة والروح *(المعارج4) فوق صعود0 تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربِّهم*(القدر4)، تحت هبوط، ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو*(المزمل9) ، وأشرقت الأرض بنور ربِّها*(الزمر69) ، شرق ظهور، حتى بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عينٍ حمئة*(الكهف 86)، غرب غيبة، وأمَّا أهل اليمينِ،فسلامٌ لك من أهل اليمين، صفة أهل الحق والجنَّة، وأما أهل الشمال في ظلٍّ من يحموم شمال هذا ، وإنَّ الخلق محجوبون بهذه الصفات جلَّت الذات أن تحيط بها الجهات ، وتنزَّهت عن الطلوع والأفول والصعود والنزول والاتحاد والحلول والحركة والسكون وجل مولانا عن الإدراك وأن يقضى عليه بسكونٍ أو حراك 0

واعلموا إخواني: أنَّ الغيب هو الظاهر المشهود بالشهادة لتصحَّ شهادتهم له، أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله بمشاهدة ظهوره فلو قلنا أنَّه لا يظهر أبداً لجعلناه مقيَّداً بالبطون ومحظور عليه الظهور، وأمَّا الذين أنكروا الظهور خوفاً من وجوب صفة الحدوث والإمكان فقد سبق القول بتكرار أنَّه ظهر الحقُّ فرأوه بصفة الخلق وهو العكس، و الشاهد ما أورده صاحب كتاب التنبيه حسن بن حمزة الشيرازي قدَّسه الله بقوله: إنَّ جميع ما يُرى على الخلق من صفاتٍ حسنى كعالم وقوي وغني وحكيم وجميل وخبير وما أشبه ذلك فهي من صفات الله الحق على الخلق ، وجميع ما أظهره الله الحق أثناء ظهوره للخلق من الزواج والأولاد والأكل والشرب والحركة والسكون والحدود والجهات فهي للخلق لا للحق، فالتشبيه واقع على الخلق ، إنَّما صفاتكم رُدَّت إليكم ، والتنزيه واجب للحق وهو أن تنفي عنه صفات الخلق، ألا ترى أنَّه يشار إليه دائماً بألفاظ التنزيه كقولنا تبارك وتعالى وجلَّ وعزَّ وعلا وتقدَّس وتسامى000

تعريف الحركة: الحركة أقسام:

- **حركة وجود:كحركة النبات من الأرض(التراب) منها خلقناكم*(وعودته وفناؤه ورجوعه إلى التراب، وإليها نعيدكم*(**

- حركة انتقالية:من صورة إلى صورة كاستحالة الحيوان تراباً والتراب نباتاً وانتقال أشكال الصورة داخل جوهر الطبيعة الطينية المركبة من عناصر عدَّة0
- الحركة الزمانية:كدوران الأفلاك وسرعة النور وانكسار الضوء على كلٍّ من الأجسام حسب لطافة وارتفاع عدد الدرجات وانخفاضها حسب كثافة الأجسام وحركة سيرها جلَّ المحرِّك أن يكون من تعدادها أو أن يتَّصفَ بمدِّها وجذرها ، وإنَّ المتحرَّك هو الجوهر والمكان والصفة كانتقال الأرواح من صورة على صورة ، والفاعل والمحرِّكُ هو الله لقول مولانا الإمام عليٌّ منه الرَّحمة والسلام:ما كان من ملكه ففي ملكه يدور، وما كان من خلقه ففي خلقه يحور0وهذه الجملة أقرب صفة لدوران الأفلاك والأملاك ، وما كان في خلقه ففي خلقه يحور وهي للعوالم الثلاثة: الحيوان والنبات والجماد، ذلك تقدير العزيز العليم اعرف الله ودوامه وبقائه بفناء خلقه، وأعرف قدرته بعجزهم ، وأشير لقدمه بدلالة حدوث الأشياء إنَّ لها محدثاً أحدثها ، ولا تخلْ الباري في خلقه، ولا تجعلْه من جملتهم .، ونزهْه عن أجناسهم وأشكالهم فسبحان من لا يقضى عليه بمِن ، لأنَّ الأزل لا مِن شيء إذ لو كان من شيءٍ لكان مسبوق الوجود ، ولو كان عن شيء لكان له مصدر وفاعل ، ولو كان كشيءٍ لكان له مثيل ونظير وشبيه ، ولو كان في شيء لكان محدوداً ومحصوراً ومحاطاً به، ولو كان على شيء لكان محمولاً ومحتاجاً لمن يحمله فسبحان من فرَّقها بأنواع خلقه ونعمته وجمعها بملكه وقدرته ، وسعها علمه وعدله ، وشملها فضله ، فإن أطاعته لم يمنعها ، وإن عصته لم يمسك عنها معصية، أمر تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى كثيراً وكلَّف يسيراً ، لم يأمر بإطاعته إكراهاً ولم يُعصى مغلوباً فسبحان من هو لا مِن شيءٍ ولا في شيءٍ، ولا على شيءٍ، وليس كمثله شيء وهو السميع العليم المحيط بكلِّ شيءٍ قدرةً وقوَّةً وعظمةً وسلطاناً وبهاءً ونوراً وأنَّه لا نهاية لنوره ، وإنَّما انحسرت الأبصار والعقول والأفكار عن إدراك صفته، وانقطعت الأوهام في البحث عن كنه ذاته0

إنَّ جميع الأفلاك وسعة المجرات وسرمدية بقاء الدهور التي لا يساوي عالمنا بالنسبة لها حبَّة عدس هي جميعها أمام الله كبذرة تمرة التين، نوره لا يحدُّ لأنَّ الحدود من صنعته ، وذاته لا تعَدُّ لأنَّ الأعداد فعل قدرته ، عرَّفنا نفسه بلطفه وفضله ولا طاقة لموجودٍ لمواجهةِ عدله لأن جميع الموجودات حول العقل الأول كالخفاش حول الشمس، وإنَّ الميم الذي هو العقل كقطرةٍ في بحر الأزل بغير تحديد لله ولا اختلاط ولا ممازجة ولا حلول جلَّ العليُّ الأحد الفردُ الصمد الذي لا يحول ولا يزول0

وسلامٌ على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين

الباب السادس

معرفة الغيب بالصورة أي معرفة الذات الأزلية بالصورة المرئيَّة

اعلموا إخواني المؤمنين علم الحق واليقين قول مولانا أمير المؤمنين منه

الرحمة: إنَّ معرفته لا تصحُّ إلاّ بذاته، وذاته لا تعرَف إلاّ بتجلِّيه ، ومعرفة التجلي إثبات الوجود ورفع الحصر والحدود

واعلموا أنَّ الصورة المرئية هي هو إثباتاً وإيجاداً مشهوداً وهو عين الصورة لا كلاًّ ولا جمعاً ولا إحاطة ولا حصر ، ولا تدركه الأبصار ، لم يتغيَّر ولم يتبدَّل ، أورى الأبصارَ من قدرته ونوره ما شاء، ولو ظهرَ كشفاً بغير حجاب لأطفأ الأنوار وأغشى الأبصار لكنَّه كما قال الإمام الصادق منه الرحمة: ظهر للخلق من حيث هو ، أي هو الغيب المشار إليه بقلْ هو، فرأوه من حيث هم،أي كمثال صورهم، بطن بلطفه هو الغيب، وظهر بوصفه هي الصورة، ظهر بذاته فرأوه بصفاتهم ، ظهر بالنور والقدرة فرأوه كالمثال والصورة،ظهر بذاته الغيب شمس القهر والجلال واللاهوتية فرأوه بالصورة الأنزعية ظاهراً بالأنساب البشريَّة 0أشهد أنَّ الغيب هو المشهود وأنَّ صورة الوجود نورٌ غير محدود وأنَّ الذات كالمرآة تراها حال ظهورها كصفات المحدثات وأنَّ الحقيقة المطلقة (هو) عالم الغيب الأزل القديم تجلَّى للصور كالصور (هي) عالم الشهادة العلي العظيم ، أشهدُ أنَّ الصورة المرئيَّة من قبلي صورة ومن قبله تعالى هي الذات الأزليَّة العظمى ليست كلية الباري من قبلي ولا الباري سواها من قبله تعالى إثباتاً وإيجاداً لظهوره ، ولا هو هي من قبل عجزي كلاًّ ولا جمعاً ولا إحصاراً ولا إحاطة لنوره ، وهو لا يحاط به لأنَّه الأزل القديم العليُّ العظيم جلَّ عن الإدراك بحدود الأمكنة وتعالى من لا تجري عليه الأوقات والأزمنة سبحان الذي أوجد الموجودات وهي تجري بقدرته كالهباء في الهواء والفضاء، فلمَّا لاح لموسى بعضُ ما توارى عنه من صفة الجبروت خرَّ صعِقاً مغشياً ، وتدكدكَ جبله النوري فما حال الكائنات؟فبذلك حقاً وجب سلب الأسماء والصفات المحدثات عن الذات وأن لا يحيط به خلاء ولا ملأ ولا أرض ولا سماء أو جهات وأرجاء، واتضح الفرق بين القديم والمحدث، والنور اللامع العميم، فما حال هذا المخلوق من ماءٍ مهين؟ والعائد طينه إلى رميم، الناظر إلى إله الأرض والسماء كسرابٍ بقيعةٍ يحسب الظمآن ماءً حتى إذا نظر إلى هذه الصورة الأنزعية بعين العقل ودليله لم يجدها شيئاً كالأشياء بل وجدها نوراً لا هوتيَّاً معنويَّاً صمدانيَّاً محيطاً بسائر الأشياء بدون استثناء لفلكٍ أو مجرَّةٍ أو سماء 0

وما هذه المخلوقات والعوالم الثلاث الطينية إلاَّ كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف فجعلته كغبارٍ في الخلاء ، أو هباءٍ في الفضاء، فلينظرْ هذا الإنسان المخلوق الذي هو مجمع الأغيار إلى ما مرَّ وسيمرُّ من الأكوار والأدوار وكثرة الملايين وتكرار المليار من الأحقاب والأدوار والأعصار إلى أين سيذهب هذا المخلوق من ماءٍ وغبارٍ؟ أم كيف تصنع به الأقدار؟! فسبحان مكوِّر الأكوار ومدوِّر الأدوار ، ومن بيده الجنَّة والنار، العزيز الغفار0

ولنعدْ إلى ما كنَّا فيه من معرفة الغيب بالصورة، وإنَّ الذات العليا والمعنويَّة العظمى، والغيب المنيع الممنوع الإحاطة والإدراك لا الوجود والظهور، هو العلم

والقدرة، وهو صفة القهر والجلال ، واجب الوجود بذاته الذي كان ولا مكان ولا دهر ولا عصر ولا زمان ، والذي كان لنوره بنوره ولا شيء معه ، وكان لعلمه بعلمه لم يلحقه علم سواه ، هو عين هذه الصورة المرئية الأنزعية المعنوية وأنه لم يزل عن كيانه وان ظهر لعيانه ،ظهر فيما بطن ويطن فيما ظهر ، لم تختلف عليه الأحوال ، ولم ينتقَل من حالٍ إلى حال ، فلمَّا شاءَ إيجاد المشيئة وأراد تكوين الملك فكان كما قال الصادق منه الرحمة: لو لم يظهر من غامض علمه إلى وجود معاينته لكان الملك ناقصاً والحكمة غير تامَّة ، واعلم يا مفضَّل أن تمام القوَّة الفعل ، وتمام العلم المعلوم ، وتمام الكون التكوين ، فافتحْ يا مفضَّل مهجة قلبِكَ لأمر ربِّكَ واعلم أنَّ النور لم يكن باطناً في الذات فظهر ولا ظاهراً فبطن ، ولمَّا جرت الإرادة من الأزل وأبدع اسمه الأعظم من نور ذاته ،فهذه المِن هي مِن السببيَّة لا مِن الجزئيَّة ، وفوَّض إليه تكوين الكائنات وسائر الموجودات فخلقها بأمر باريه وجعلها صوراً وهيولى وقدَّرها أقداراً وأحجاماً : وخلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً*(الفرقان2)

والمقادير الثلاثة: هي الطول والعرض والعمق، والثلاثة: كالماهية والكمية والكيفية0

فالكميَّة : هي القدر والحجم0 والكيفية: الطول والعرض والاستدارة والأشكال والألوان والتثليث والتربيع والتدوير والهيئات والصور المحدثة آلةٌ لتعريف الهيولى والماهية بعد أن تمَّ تكوين سائر الكائنات العلوية والسفلية والسماوات والأرضين وما بينهما 0

ولمَّا شاء وأراد القادر أن يعرِّفَ نفسه لعباده سنَّ لهم القوانين والشرائع، وفرض عليهم الفرائض ، وأرسل لهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب أراد أن يعرِّفهم ذاته ، فظهر لهم بذاته فرأوه بصفاتهم، وأظهر لهم العلم والقدرة من حيث هو فرأوه طفلاً وشابَّاً وشيخاً باختلاف الصور من حيث هم ، هذا ما رآه عالم البشر، وأمَّا ما رآه عالم النور فقد رأوه نوراً مثل أنوارهم ، ونوره أجل وألطف من أن يُحَدَّ ويوصف وجعل العلامة بينه وبين عباده القدرة، فظهر لهم وأظهر القدرة التي تعجزُ عنها المخلوقات مثل رد الشمس وإحياء الأموات وعلم المغيبات والأمارات الخمس ، وجعل للكون سنَّة ونظاماً كالصيف والشتاء والحرارة والبرودة والموت والحياة والسكون والحركات وأنواع الصور، وعلَّمنا أنَّه لا يخرق هذا النظام بإرجاع الميت حيَّاً ، ونقل الإنسان مرأى العين إلى صور الحيوانات ، وأن يرقى في السماء ويطويها على الأرض وأنه لا يفعل ذلك سواه 0

فالنظام هو قفل للطبيعة بهذه الطبائع، والمفتاح هو خرق نظام الطبيعة بالقدرة كما ذُكر أنَّ مفاتيح الغيب المعاجز والقُدَر فظهرت الذات الأزليَّة بالسبع قباب الذاتية من مشرق الظهور بالصورة الهابليَّة إلى مغرب تجلِّي ذاته بالصورة العلويَّة ،
وأظهر لهم من المعاجز والقدر ما لا يحدُّ ولا يُحصر من رجوع الشمس وردِّها إحدى وعشرين مرَّة وشق القمر وإحياء الميِّت وتكليم البهائم، وقد ضاقت عن حصر

مناقبِه الأخبارُ مما تكلّ عن وصفها السنة البشر ، ففسح الجبال وأنزل الغيث والمطر فقال سبحانه وتعالى: اقترب للناس حسابُهم وهم في غفلةٍ معرضون* (الأنبياء1)

هذا وإنَّهم عن هذا الهدى وهذه الأخبار مشغولون بالأكل والشرب وجمع الأموال كما قال لهم الله: الهاكمُ التكاثر*(التكاثر 1) في الحياة الدنيا فعلمنا أنَّ من تكن تلك قدرته لا تُحدُّ صورته فدلَّت هذه القدرة على هذه الصورة بأنها الغيب فوجب لها الإعلان بالشهادة أنَّها باب الوجود وهي الغيب المشهود برفع الحدود، وإنَّ الحدود محيطةٌ بالعبد لا بالمعبود كركاب السيارة يرون الأرض تسرع ولا يرون السرعة من سيارتهم، وهكذا النظر للخالق بالعكس، مثل ما نرى من سير القمر والشمس كما قال السيد أبو شعيب عليه السلام: يا دليلاً لأدلَّتِه يا ظاهراً بقدرته، الغيب والبطون أي أنَّ القدرة دلَّت على الصورة والظهور هو هي بالحقيقة والجوهر لا بالصفة والمنظر0

وكذلك قال أبو حمزة الثمالي: بكَ عرفتُكَ وأنتَ دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنتَ لم أدر ما أنتَ 0

وعن الصادق منه الرحمة قوله: من أثبت ما علم من القدرة، ونفى ما رأى من تحديد الصورة فأولئك أصحاب أمير المؤمنين ،وروي عن الإمام الحسن منه الرحمة أنَّه قال: إلهي بكَ عرفتُك، وبكَ اهتديت إلى أمرك ولولاك لم أدر ما أنت0

وممَّا أورده علي بن حمزة قدَّسه الله في كتاب حجَّة العارف : إنَّ لله صفتين ، صفة قدم وصفة حدث، فصفة القدم غير مكيَّفة ولا محدودة، ودليل ظهورها القدرة، وصفة حدث ظهوره بالحدود والجهات وإظهار القدرة منها دالٌّ على صفة القدم نافٍ عن صاحبها أنَّه محدَث أو مكيَّف أو محدود بل ظاهرٌ للوجود والعيان إثباتاً وإيجاداً وعياناً وبياناً ، فلمَّا أظهر الغيب الذي هو القدرة، وشوهد بصورةٍ ليُعرف دلَّ عبادَه عليه بالقدرة والغيب الذي لا يوصف لقول الصادق منه الرحمة: دلَّ على ذاته بذاته، ودعا لنفسه بنفسه0 وقوله أيضاً(ن والقلم)فقال: ن : الذات، والقلم: الظهورات0

وإنَّ السماوات والأرض وما بينهما وجِدَت بالقدرة، وإنَّ دوامها وبقاءها وحفظ نظامها بالقدرة0

وإنَّ أركان البيت الإلهي أربعة: وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة، فهل يمكننا معرفة القدرة إلاَّ بالصورة ، وإنَّ العلامة التي بينه وبين عباده القدرة والعلم ، فلما قال أمير المؤمنين : أنا الذات ، أنا صاحب الآيات ، وأظهر القدرة صدقناه وآمنا به 0

وفي خبر الأعنَّة المذكور في النجحية والمصرية أنَّ مولانا أمير المؤمنين لمَّا قبض على أعنَّة السماوات والأرض وجمعها بين راحتيه حتى لم يبق بينهما قاب قوسين قال لسلمان: يا سلمان كم تذكر لي مثل هذه القدرة ؟ فكانت هذه المعجزة سبباً لنزول هذه الآية :إنَّ الله يمسكُ السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن

أمسكهما من أحدٍ من بعده*(فاطر41)فهل أمسكهما أحدٌ من بعده أي بعد أمير المؤمنين وطواهما؟ أم هل أمسكهما وطواهما أحدٌ من قبله؟ أم هل ظهرت وعُرِفت هذه القدرة إلاَّ بهذه الصورة؟

فلا شيءَ يعرَفُ إلاَّ بصورته، كما قال جلال الدين بن معمار الصوفي قدَّسه الله:إنَّ السادة المتقادمين من رجال هذا المذهب أسسوا بنيانهم على معرفة الصورة إلى قوله: وألقوا على كلِّ ذاتٍ معنويَّةٍ صورةً تكون علامة عليها ودليلاً إليها ، فصار عندهم الروح صورة، والعقل صورة، والإيمان صورة، والكفر صورة، والحق صورة والباطل صورة، والجنة صورة والنار صورة، وآدم صورة وإبليس صورة، والجان صورة والأنس صورة ، وهكذا في كليات ما يُعلم وجزئياتً ما يُرى ، وكل من لم تثبت له صورة يوشك أن لا يكون شيئاً 0

وإنَّ الصورة هي الذات من حيث تجردها عن الأسماء والصفات المحدثات والحدود والجهات والسكون والحركات 0

ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاَّ بما شاء وسع كرسيُّه السماوات والأرضَ ولا يئوده حفظهما وهو العليُّ العظيم*(البقرة255)

******

*****

الباب السابع

في معرفة توحيد كثرة الظهورات والمطالع

اعلموا إخواني فتح الله لنا ولكم أبواب السعادة الأبديَّة والنعم الروحية القدسية: إنَّ التوحيد ذو وجوهٍ عدَّة، وأجلُّ آراء أهل التوحيد هو رأي السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي صلى الله عليه0

إن التوحيد: هو أن تعلم أنَّ كثرة ظهورات الصورة المرئية الأنزعية ذاتٌ أحديَّةٌ أزليَّة0

وإنّ التفريد:هو أن تفرده عن أسمائه وصفاته وأنَّه لا يظهرُ إلاَّ بذاته لا بشيءٍ من خلقِه0

والتنزيه:هو أن تنزهه عن الصفات المخلوقات وجميع أنواع المحدثات0

والتجريد: هو أن تجرِّده عن حدِّ التصوير والإحاطة بالحدود والجهات0

وهذه المعرفة: هي سببٌ لخلاص الأرواح من كثافة الأبدان إلى عالم المُثُلِ والصفاء ودخول الجنان عندما يتداركُ الباري عبده بلطفه، وتتخلص النفسُ من الشكِّ الذي هو عِلَّة الوقفة عن سرعة الإجابة وسبب المكث بدار الفناء والوقوف عن الصفاء0

ثم لنرجعْ إلى القول والإيضاح أن المتصوفين من أهل التوحيد اصطلحوا على أن يرمزوا باسم(هو) للذات العظمى وصفة الجلال والقهر، وأن يرمزوا باسم (هي)

للصورة الأنزعية صورة اللطف والجمال ، وانَّ كثرة ظهورات هو بصورة الإيجاد هي من صبح الأزل إلى عشاء الأبد تغيب في أحديَّة هو الأحد الفرد الصمد، وانَّ السبعة الذاتية والإزالات المثلية كلُّهاذات أزليَّة أنزعية ، وهذا هو التوحيد الحق، وأن توحِّدَه عن اسمه وبابه وملائكته وسائر خلقه، كما قال أشعيًا: إنَّ ربَّ الأرباب وإله الآلهة ليس هو ممَّن يدخل عليه ما ولا في ولا قبل ولا بعد ولا عند ولا على ولا كم ولا عن، بل معنى المعاني وغاية الغايات وكل الكليات ، لا يحلُّ في شيءٍ، ولا يمازج شيئاً ، وجوهر ذاته منفردٌ عن كلِّ شيءٍ،هذا ما لله على خلقه0

أما توحيد الاسم فهو كما جاء في فقه الرسالة للسيد أبي عبد الله: وكذلك هو موضع الأسماء والصفات مثل سميع، بصير ، عليم، قوي، شديد، غني، حميد، رحمن، رحيم، وإنَّ المعنى أزال صورة الاسم وظهر كمثل صورته في مقامات النبوَّة والرسالة من آدم إلى محمد الحمد ، وفي الإمامة من الحسن المجتبا إلى الحسن الآخر العسكري ، فهي أربعةٌ وخمسون ، فهي اسميَّة محمديَّة قبل أن يزيله المعنى، ويظهر كمثل صورته، وكذلك التسع مقامات المحمدية التي لم يزلها المعنى ، ومقام فاطر ومحسن لم يدخلا ضمن العدد، والإحدى عشر مطالع البابية بعد تشريف الاسم للمطالع البابية أضيفت للاسميَّة والشاهد قوله سبحانه وتعالى: في بيوتٍ أذن الله أن تُرفعَ ويُذكر فيه اسمه*(النور36)فتتم الأربعة وسبعون التي ذكرها شيخ الطريقة نظماً فقال:

أسماءُ سبعٍ تسمَّى مسمِّىٌ لا مسمَّى
بها وسبعونَ اسماً للاسم هنَّ أعمَّا
وأربعٌ لا ســواها أسماؤه حــين تمَّا

وكما قال شيخ الطريقة: أيضاً عن مواليه أهل العصمة والرضوان ، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلُّنا محمد ، وانَّه معدن الأسماء وكليَّة الصفات، وكما أنَّ الميمات الطمس الإثنى عشر تضاف إلى ذاتيات الميم ، وكما ورد في النجحية لأبي سعيدٍ قدَّسه الله عن الصادق منه الرحمة أنه قال: إنَّ المعنى أحدٌ خلقَ واحداً فجعله عينه التي ينظر بها وأذنه التي يسمع بها ، ولسانه الذي ينطق به، ولو كانوا الف شخص لكانوا واحداً وهو الواحد وهو آدم وهو محمد ، وهذا توحيد مظاهر الاسم الذي هو الصلاة الوسطى لا يُرفَعُ إلى المعنويَّة ولا ينخفض إلى رتبةِ البابية ، والتشريف والمدد الإلهي غير محدود ولا متناهي ، ولا يحول ولا يزول ، ولا يُدرك بمواهب العقول كلٌّ على قدر رتبته وطاقته وقوَّة احتماله واستعداده ، اللهمَّ آتنا من لدنكَ رحمةً وهيئْ لنامن أمرنا رشداً0

وأما توحيد الباب الكريم الذي هو الوحدانية: ابتدأت ظهورات الباب في عهد آدم بجبرائيل وهو نوراني واستمرَّ كذلك مع آنوش وقينان ومهلاييل ويازد0

وفي عهد إدريس: غاب وظهر بيابيل بن فاتن وهو أول مقام وأوَّل ظهور للبشر كالبشر، ومظاهره من يابيل إلى سلمان، إلى أبي شُعَيب بابيَّة وحدانيَّة كلها0

ولمَّا غاب أبو شعيب بغيبة مولانا الحسن صاحب العسكر عاد الباب جبرائيل نورانياً كعهد آدم، وانَّه بدا للبشر كالبشر لمعةً من ضياء نور حضرة الباب الضيائيَّة ، وعادت إلى كونها وهو الكون النوراني جبرائيل وهو الوحدانيَّة سلمان السين صلى الله عليه وسلَّم، هذه لمحةٌ من مظاهر توحيد الباب0

وأمَّا توحيد العوالم برتبهم وأعدادهم: فهو أن يعلم الموحِّد أن الأيتام خمسة أبداً في كلِّ ظهورٍ مع المعنى والاسم والباب لا يزيدون ولا ينقصون ولا يعلو أحدهم من رتبته إلى رتبةٍ من هو فوقه، ولا يزول عن رتبته ، وأن يعلم أنَّ النقباء اثنا عشر أبداً وأنَّ النجباء ثمانية وعشرون أبداً، والعالم الكبير النوراني الخمسة آلاف لا يزيدون شخصاً ولا ينقصون ولا يعلو احدهم إلى رتبة من فوقه ولا ينحط عن رتبته ، وأن يعلمَ أن العالم الصغير الروحاني مئة ألف وتسعة عشر ألف شخص لا يزيدون شخصاً واحداً ولا ينقصون ، وأن هذه العوالم النورانية أعداد أغيار آحاد لا يستوي اثنان منهم في درجةٍ واحدة وكل منهم غير الآخر كما أورده العلاَّمة الشيخ سليمان الأحمد قدَّسه الله الفرد الصمد : فلا اتحاد ولا حلول ، ولا ظاهر هذا باطن هذا ، ولا أنا أنت ، ولا أنت أنا ، وإنَّ المظاهر النورانيَّة إفراجٌ لا مزاج فيها ، وإنَّ حمد الأشخاص وذم الأشخاص والتشخيص هو من أصول الدين ، وهذا المذهب لا يكون إلاَّ بقولٍ عن الأئمة المعصومين وعن السيد أبي عبد الله ، وهو أمر توفيقي موقوف على قول الله تعالى والبيِّنة الواضحة الصريحة، ومن حمد أشخاصاً أو ذمَّ أشخاصاً أو شخَّصَ أشياءً من تلقاء نفسه كان قد عدل عن رأي السيد أبي عبد الله ، وإن كابر وادَّعى أنَّه ما زال في رأيه على التوحيد0

وعلى الموحِّد أن يعلم أن الصفاء فطرة الله التي فطر عليها الناس لا يحرمه الله للمؤمن ، وأنَّ المسخَ عدلٌ وجزاءٌ لسيِّئة الأعمال ، وقد جعل الله للصفاء والمسخ آجالاً محدودةً كلٌّ على قدر إيمانه وكفره سواء بسواء على حسب الإجابة والإنكار للصورة، وعلى الموحِّد أن يعلم أنَّ النَّشآت والكرَّات والرجعات من علم المغيبات لقوله تعالى: وعنده علمُ السَّاعة*(الزخرف 85)وأنَّ اللطف الإلهي لا يحد بحدِّ القوانين فإن شاء فعل ، والله فعَّالٌ لما يريد 0

ولْنتَّبعْ هذا القول بما بدأناه من توحيد الأحد وصفة حال الوجوب قبل تقدير الإمكان أو الممكن أي فصل صفة الذات عن صفة الممكنات ، ولمَّا حصل الممكن وجبت له إمكانيَّة(للغسَّاني قدَّس الله روحه ونور ضريحه)

وقال جلال الدين بن معمار في الصورتين : وما هناك إلاَّ صورةٌ من صور الابتداء أي صورة اللطف إلى صورة الانتهاء أي صفة الجلال والقهر ، وأتمَّ فقال: من لم يعرف الفصل من الوصل لم يصل إلى شاطئ التوحيد0

فالفصل: أي فصل جوهر الذات وعدم حلوله واختلاطه أو ممازجته لشيءٍ من المخلوقات منفردٌ بذاته0

والوصل: أي كلٌّ شيءٍ قائمٌ بقدرته محتاجٌ إلى رحمته0

وسأضرب على ذلك مثلاً لتقريب الأفهام وهو كالسفينة في ماء البحر تجري وجوهر جسمها غير جسم الماء ولا تجري إلاَّ به جلَّ الله عن الأمثال ولكن ضرب الله مثلاً فقال: إنَّ اللهَ لا يستحي أن يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقها000*(البقرة 26)ولئن أخطأت الأقوال والأمثال اللهم فاجعل قولي هذا سبباً للهداية ولا تجعلْه سبباً للضلال إذ أنَّ للبصر حدود وللعقول حدود تتناهى إليها وإنَّ جميع الخلق تتناهى قواها وتحدُّ عقولُها في عظمة الله كما قال الأمير حسنُ قدَّسه الله : وإنَّ أكبر المعارف به لأهل المزاج رفع خط الخيال العارض في الوهم عن ذاته0

وقد قيل إن الوجود في الباري لا على سبيل الخروج والدخول ولكن على سبيل أنه ما كان الوجود قبل أن يكون موجوداً فلما وجد وجب له إمكانيته بعد أن صار موجوداً ولا يوجد الأشياء من العدم إلى الوجود إلاَّ الباري ، وقيل إن الباري في الوجود لا على سبيل الحصر والحلول بل على سبيل الظهور للوجود، ظهر بذاته فرأوه بصفاتهم ، ومن أين يحدُّ بالكم والكيف والمقدار والمقادير الثلاثة التي ينتهى كلٌّ منها بنقطتين كالخط وهو طول لا عرض له والعرض وهو ينتهى بنقطتين عرض وطول لا عمق له ، والعمق أو الارتفاع وهو الجسم الكروي وفيه تتم المقادير الثلاثة والنقاط الستة إذ لكل شكلٍ نقطة بداية ونقطة نهاية ، وهكذا يكون الجسم مواجهاً للجهات الست متحركاً بها طبعاً ، فإذا قلنا أن المعنى جسمٌ نوري غير داخل بنهاية نقطتي خط الطول والعرض، ولا محدود داخل نقطتي الطول والعرض والعمق ولا مدروك بأقطار الجسم الكروي وتناهي أبعاده وهذا ما أشار إليه شيخنا وسيدنا أبو عبد الله صلى الله عليه وسلم بقوله: جسمٌ لا كالأجسام ، المدروكة أبعاده بالمقادير الثلاثة بل هو نورٌ أعم لا كالأنوار المحدثة لأن الأنوار مخلوقة وهو خالقها والأنوار مستنيرة وهو منيرها ، والأنوار محاطة وهو محيطٌ بها وموجدها ومبقيها ومحرِّكها0 لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون*(الأنبياء 27)

كما قال مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة: أنا منير الأنوار ومني يشرق النور وفيَّ يغرب النور ، وأنا معدن كل نور، لقوله تعالى وهو أعظم القائلين : تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعلَ فيها سراجاً وقمراً منيراً*(الفرقان 61)

الباب الثامن

في معرفة اختراع السيد الميم من نور ذات باريه العليِّ العظيم

وله نوعان ووجهان: ويبقى وجه ربِّكَ ذو الجلال والإكرام*(الرحمن27)

- وجه قِدَمُه الذي يواجه به باريه أي نور الذات المخترَع منه 0
- ووجه محدثِه الذي يواجه به ما خلقه وكوَّنه بإذن باريه من جميع الكائنات والمخلوقات ، وهذا ما أشار إليه علي بن حمزة قدَّسه الله في كتاب حُجَّة العارف إذ قال: إن كان الرسول من جنس المرسِل فكيف فهم عنه الخلق أمره ونهيه، وإن كان من جنس الخلق الذي أُرسِلَ إليهم فكيف فهم عن الله أمره ونهيه؟

فلهذا السِّرُ قيل إنَّ الميم نوعان قدم وحدث ، قدمه معدن الأسماء، وحدثه

كلية الصفات ، وهو خالق الأرضين والسماوات ، وموقع صفات نور الذات الذي أُبدِعَ من نورها لقوله عزَّ وجلَّ : ما كان لله أن يتَّخِذَ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمراً فإنَّما يقول له كن فيكون*(مريم35)

وإنَّ الإيجاد على ثلاثة ضروب: الإبداع، والاختراع، والتكوين0

فألإبداع : غير مسبوق بمادة ولا في مدَّة ، وهو الذي لم يكن محدثاً ، وهو قدم الاسم0

والاختراع: اختراع مادة لا في مدَّة وربَّما يراد به محدث الميم وقدم الباب0

والتكوين: هو التكوين من مادة وفي مدة، وهو لسائر العوالم، إلاَّ أننا ننبِّه الطالب لقوله تعالى: ألا له الخلق والأمر*(الأعراف54)فعالم الخلق ما كانت علل الأسباب فيه متسلسلة كقوله تعالى: والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلدٍ ميِّتٍ وأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور*(فاطر 9)فانظر إلى تسلسل أسباب الممكنات 0

وعالم الأمر كن: بلا تسلسل في إيجاده وهو عالم النور، وهو العالم الكبير والعالم الصغير وعالم الأرواح، بخلاف عالم الخلق عالم الحيوان والجماد والنبات لقوله تعالى: ويسألونكَ عن الروح قلِ الروح من أمرِ ربِّي *(الإسراء 85)0

وقال شيخ الطريقة الحسين بن حمدان جمَّل الله به الزمان ، ونفع بعلمه سائر الإخوان أهل الإيمان: إنَّ المعنى القديم أزلٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ منشئ الأشياء لا شيء معه ، فلما شاء أن يكون المكان كوَّنه من نور ذاته ودلَّه عليه وانطقه حتى أجاب مناجاته فهلل المعنى نفسه فهلله الميم ، وسبَّح نفسه فسبَّحه الميم ، ومجَّد نفسه فمجَّده الميم ، وكبَّر نفسه فكبَّره الميم ، وحمد نفسه فحمده الميم ، فسمَّاه الله وأشرعه لمن يخلق بعده في جميع ملكه0

وقال الجليُّ في وصيَّته: إنَّ المعنى جلَّت قدرتُه وعظمت منَّته ، وعزَّت مشيئته أحدٌ فردٌ صمدٌ أزلٌ دائمٌ حيٌّ داريٌّ معنى المعاني ربُّ المثاني، الغاية القصوى والنهاية العظمى، والديمومة الكبرى معل العِلل، ومؤزِّل الأزل كان ولا مكان ولا دهر ولا زمان، ولا حركة ولا حس ولا جوهر ولا جنس متوحداً في ذاته منزَّهاً عن أسمائه وصفاته لا يحدُّه حد ولا يبلغه عد كان قبل الأسماء والحجب والرسل والكتب لا يحويه مكان، ولا يحصره زمان ولا أوان متوحِّد متفرِّد متجرِّد لا شيءَ معه ، ولا شيء قبله ، ثمَّ شاء بقدرته وحكمته وإرادته ومشيئته أن يكوِّنَ المكان فكوَّنه من نور ذاته وجعله أول بدايته واجلَ مصنوعاته وموضع صفاته 0

ثم أظهر اسمه حجاباً ليُظهِرَ منه وبه الآيات، ويوري به المعجزات والقدر الباهرات، وليخلق به الخلق، ويحق به الحق ، فتقه من نور ذاته بعد ارتتاقه وحرَّكه من بعد سكونه ، وفصله بعد الاتصال ، ولم يكن بالحقيقة انفصال ، فكوَّنه ومكَّنه وأتقنه ورصَّنه وسمَّاه البيت والحجاب والبدا والمآب ، ودعاه بالعقل ومنحه كل فضل ، وفوَّض إليه كلَّ شيء وإظهار كل حي فهو منه بمنزلة الشعاع من الشمس أو

كالفيء من الشبح أو كاللهب من النار من غير تمثيل ولا تحديد ، فلا فرق بينه وبين الأزل مولاه وغايته ومعناه ، ولا كون ولا حدوث، ولا فضاء ولا خلاء ولا ملأ ولا واسطة ولا حد ولا زمان ولا مكان وكان علمه بكونه وظهوره قبل إنشائه وحضوره قد سبق 0

فمعدنه موجود من نور الذات الغير مفقود تعالت وجلَّت، وإليها الأسماء والحجب دلَّت، لا قديمَ بقِدَمِه، ولا أزل بأزليته ، ولا هو شريكٌ لهُ في ملكه ، ولا مثيل له ولا نظير ولا عديل، بل إنَّ المعنى قديم أزل، وهذا قديم أزلي محدَث بالظهور عند باريه ، ومكوِّنه ومنشيه ، قديمٌ لمَّا بدا، وزرأ وأبدع ، وأنشأ، أصله قديم بقدم الذات أي الصورة إذ كان نورها، قديمٌ بقدمها، ومحدث بالظهور عند فتقه منها وتكوينه وإيضاحه وتبيينه ، أنطقه بعد السكون والاختفاء وأبدِع منه كلَّ حقٍّ وهدى ، وهو لا يعلم نهاية ماله من المكان عند الأزل مولاه جلّ جلاله نبلاً وعظمة وإن كان عالماً بكلِّ شيءٍ ، ومكوِّن كل شي، ومفوّض إليه كل شيء ، وقادر على كل شيء، لكنَّه لا يحيط بعلم الذات كله دقيقه وجليله وعظمته وجلاله لأنَّنا متى قلنا إنَّه يعلم بعلم الذات كله وانَّه عرفه وأحاط به فقد سلبنا الأزل علمه وصار الميم ، ومتى قلنا أنَّه أحاط بكليته صار شريكاً ومثيلاً وعديلاً ونظيراً0

نعوذ بالله من القول بذلك والديانة به بل نقول: إنَّه عالمٌ قادرٌ قاهرٌ مفوّضٌ إليه العلم ممنونٌ به عليه يجري من مولاه الأزل تعالى بمنزلة مجرى الشعاع من القرص وكاللهب من النار أو كالفيء من الشبح ، من غير تمثيلٍ ولا تحديد ، يظهر منه وبه الآيات والمعجزات والدلائل المبهرات من غير مشورة ولا واسطة ولا مؤامرة لا متصل به ولا منفصل عنه 0

وانَّ معنى قولنا لا موصول ولا مفصول أُريدَ به لا متَّصل به اتصال ممازجة ولا مطابقةً ولا مجانسةَ ، ولا منفصل عنه انفصال انقطاع ومفارقة ومباينة ، منزلة بين منزلتين ، وحالة وسطى بين حالتين، هذه أبين مقالة وأوضح دلالة لِمَن عرف الحق ودان للصدق 0

وأيضاً قال الجلي عليه رضوان القاهر العلي في رسالة الفتق والرتق: فالاسم تعالى من نور الذات بدا وظهر وأشرق، وكان نوراً موصولاً غير مفصولٍ ، لا شخصاً مرئيَّاً ، ولا ناطقاً متحرِّكاً ، ولا مدروكاً بالحسِّ ولا موصوفاً بالجنس ولا ظاهراً بالأفعال ولا معروفاً بالاستدلال ، وقد سئل المولى الصادق منه الرحمة عن خلق السيد محمد صلى الله عليه وسلم فقال: خلقه من نور ذاته 0

فقيل له: من نور نوره، أم من نور ذاته؟

قال للسائل تكراراً: بل من نور ذاته0

قال: فما حدُّه منه ومنزلته عنده؟

قال: حدُّ النُّطق من الناطق، والنظر من الناظر، والحركة من السكون ، فلما اخترعه باريه، وعلَّتُه ومكوِّنه ومنشيه اخترعه من نور ذاته ، وجعله أجَّ مقاماته

وغاية متجلياته ، وأصل صفاته ، فقيل فصلاً لانفصاله من نور ذاته، وفتقاً بعد ارتتاقه بالنور، وحركة جُرَّت بعد السكون لا على جهة التجزيء والتبعيض ولا أنَّ بينهما فصل ولا فاصلة ولا واسطة، ولا خلاء ولا ملا ولا حدَّ ولا زمان ، ولا كون ولا حدوث0

وله أيضاً في رسالة الظهور والبطون قال: إن الأزل تعالى أظهر الحجاب وهو الاسم من نفس نور الذات ، وأصله من سكون الحركات فمعدنه موجود ، وأصله غير مفقود ليثبت أفعاله الظاهرة وأشخاصه الحاضرة إنَّه موجود غير معدوم0

وعن رسالة موضِّحة الأسرار للسيد محمد بن شعبة نقلاً عن السيد أبي عبد الله شرَّف الله مقامه قال الشيخ: غيَّبه تحت تلالي أنواره دليلٌ على أنَّه لا يختلط بالأنوار التي منها بدا واختُرَع بعد فصله، ولم يمازجْها بل يكون تحتها لأنَّ الباري تقدَّس وتعالى فوقه بالعلوِّ، ويكون تحت أنواره بمنزلة التكوين والخلقة، فافهموا هذا إخواني حرسكم الله وفكِّروا به0

وقولنا : أنَّ الاسم إليه التسليم يُسلَبُ جسده النوري ، ليس قولنا أنَّه ينفصل عنه ، لأنَّ جسده متَّحدٌ به منذُ كوِّن فإذا رجع إلى تحت تلالي نور الذات أغشته من أنوارها ما لم يثبت فيرى0

وكذلك قال الشيخ في خبر موسى : وبقي الاسم نوراً مجرَّداً من هيكله لأنَّه لم يثبت لنور الذات فيرى، فقوله لم يثبت: دليل على بقائه معه ، وقوله يرى : دليلٌ على أنَّه قد أغشاه من الأنوار ما لم يستطع مقاماً عندها ، فيكون تحت تلالي النور كمثل القمر في السراري تحت الشمس أغشاه كثرة أنوارها فلا يعاين ولا يُرى ، وإذا بعد عن أنوارها رئي إلى الكمال ، وإنَّما ضربنا هذا المثل ولا مثل للباري تعالى ولكن ليقرب فهمه على سامعيه فيتصوَّرَ الدِّراية وتقرب معرفتها عنده لأنَّ الشمس إذا كانت ظاهرة والقمر أيضاً في السماء لم يكن للقمر نورٌ ولم يقع للعيان شيءٌ من أنواره ، فإذا غربت عنه أضاء نوره المتحد به وأشرق واتسع في غربها وشرقها ، وغيَّب نوره النور القريب منه من أنوار الكواكب، فهذا معنى جيِّد لمن يدريه 0

لقد عرَّف وشرح هذه الأقوال صاحب كتاب التجريد الشيخ حاتم الطوباني قدَّسه معنى المعاني وهو قوله:

فقولنا أنَّ قديم الميم لا يفارق نور ذات باريه البتَّة ، يعني أنَّ نور الذات دائم الفيض بالاستمرار كما أنَّ قديم الميم دائم القبول والاستعداد لهذا الفيض ، وقولنا أنَّه ليس بين الذات وقديم الميم خلاء ولا ملأ ولا واسطة فذلك كمثل مرآة مقابلة لنور النيِّر الذي هو نور الذات اختُرِع منه الميم ، فلو كان هناك واسطة بين النَّيِّر الذي هو نور الذات ، وبين الشعاع الفائض عنه وهو قديم الميم لا نفصل النور المنعكس عن المنير ، وحلَّت لواسطة محلَّه وهذا ما لا أصل له 0

وقولنا أن الميم لا متَّصل به اتصال الحال بالمحل، ولا منفصل عنه انفصال الجزء من الكل ، وكما جاء في الدستور المكرَّم (كشعاع الشمس من الشمس)وقد

قال الإمام الصادق منه الرحمة: مَثَلُ القرصِ كذاته ، ومثَلُ الشعاعِ كحجابه0

وقد عبَّر عن هذه الجملة الشيخ حسين الأحمد قدَّسه الله الفَرد الصمد برسالة التضمين فقال: إنَّ الشعاع يقوم مقام الأفعال الصادرة عن الهيئات والصور وإنَّ اتصال الميم في باريه اتصال قرب وعلو درجة لا اتصال اختلاط وممازجة0

وقول الأمير حسن بن مكزون السنجاري قدَّسه الله في دعاء عيد الفراش: لم يبنْ عنكَ حين أظهرتَ فصله، ولم يتَّحد بكَ حين أريت وصله0 وقوله طيَّب الله ثراه في دعاء عيد الميلاد: كلمتكَ التي أوجدتَ بها الوجود، وأمطرتَ بها سحائب الفضل والجود0

وقد جاء في كتب أهل التوحيد: أنَّه كالنَّظر من الناظر أو كالنطقِ من الناطق مقام الميم من باريه،فإنَّ النظر فعل الناظر وإذا ألقى الناظر نظره لا تحترق عينه، وإنَّ النطق فعل الناطق، وعندما يجري الكلام على اللسان هل يمازج الكلام اللسان، أم هل هو من نوعه أم هل يحل الكلام باللسان ويمازجه كلاًّ؟ أم هل ينقص بخروج الكلام منه حتماً؟ لا ينقص بخروجه ولا يحل به شيءٌ منه ولكنَّه فعلٌ منه ، والفعل غير الفاعل ولا قيام للفعلِ إلاَّ بالفاعل ، وهذا المقام جليلٌ وخطير القول فيه غزير0

وقد أورد الشيخ معلاَّ ربيع قدَّس الله روحه وأرواح المؤمنين في رسالته كشف الكنوز نظماً فقال حيث أحسن المقال:

إنَّ قديم الميم عند اختراعه	**فمن نور ذاته لا عن الذات سائر**
وليس بمتَّصلٍ في نور ذاته	**ولا فرقَ بينهما إن كنتَ خابر**
وتشريف قافٍ لا يزال مماثلاً	**لكونٍ له مخفيَّة عن عينٍ ناظر**

وقد قال السيد أبو عبد الله نضَّر الله وجهه في رسالته التي تضمَّنُ أصولَ مقالتهِ : وهو أنَّ المعنى كان ولا شيءَ معه ، فلمَّا شاءَ أن يكوِّنَ المكان اخترعه من نور ذاته ودلَّه عليه فأنطقه فأجاب000

وقول قاضي الدين الشاب الثقة أبو سعيد عليه رضوان الله في كتاب الدلائل في معرفة المسائل:إنَّ الاسم مخترَعٌ من الصورة وهو تحتَ نور الصورة، لأنَّ الصورة المرئيَّة هي نور الذات والاسم بدا من نور الذات ، وإذا أراد المعنى غيَّبَه تحت تلالي نور ذاته وظهر كمثل صورته 0

وأيضاً لصاحب كتاب التجريد الشيخ حاتم الطوباني قدسه الله معنى المعاني هو وجميع المؤمنين بقوله: ويبقي الاسم نوراً مجرَّداً من الهيكل الذي هو الجسم المحدَثُ ، ويكون مقابلاً لذات نور باريه فقط، ثابتاً لذلك التَّجلِّي ، ومثل ذلك كمثل ضياء القمر الساطع إذا طلعت عليه الشمس يُخفى ضياؤه ولم يثبت فيُرى ويبقى

قرص القمر مجرَّداً من الضِّياء وثابتاً لمقابلة الشمس ، ولا أقول أنَّ ضياءه انفصل عن قرصه بل إنَّما غاب واختفى بأنوار الشمس0

وكما تقدَّم بكلام ابن شعبة عليهم جميعاً سلام الله ، وكما جاء في كتاب الأكوار والأدوار النورانية للسيد أبي شعيب عليه الصلاة والسلام قوله: يا محمد بن جندب إنَّ الأزل تعالى لمَّا أبدأ ذلك النور وأقامه قال له: إنَّني أنا الله لا إله إلاَّ أنا فاعبدني*(طه 14)فأوجده بذلك وانحله ذلك الاسم الذي تسمَّى به الأزل وأصبح يُدعى به فأراد الأزل بذلك إيجاد اسمه بحقيقته في بدء قدامه ، وانَّه تسمَّى به حتَّى سمَّاه الله ولو كان يا محمد بن جندب لم يسمِّ الأزلُ نفسَه لكان هذا نوعٌ من الجنون أو ضربٌ من الهذيان أو أنَّ الإنسان إذا أراد أن يأتي بشيءٍ من الفعل أن يأمرَ نفسه ويقول لنفسه يا فلان باسمه ذاته قم وافعل كذا وكذا ولا حاجة له في ذلك الأمر الذي هو فاعله، وليس له الأمر بذلك بل لغيره ليُعرَف الفرق بين الآمر والمأمور في جميع الإرادات، فقلَّده ملكَه وفوَّض إليه تكوين الجزء والكلَّ وبدَ مقاليد تكوين ما يريد تكوينه من جميع المكوِّنات والمخلوقات فلمَّا أنحله ذلك وأبدأ الأشياءَ والإرادات بإرادة الأزل مولاه أعاد عليه الأزل القولَ الأول على حدِّ التذكير وعلَّمه لا على جهة الاختبار قائلاً له القول الأوَّل: إنَّني أنا الله لا إله إلاَّ أنا فاعبدْني*(طه 14)فلمَّا كان إيقاع التذكير قال له الأزل المنادي والخطاب مشافهة واستشهدَه سبعاً0

وانَّ أسماء المعنى في القدم ثلاثة: أنا:فأنا للإعلان بنون العظمة وهو القائل: أنا، بذأته 0 وهو: من إشارة الاسم إليه في القدَم ، وفي الكتاب0 وأنت: إشارة من الاسم والباب والعالمين وجميع الخلائق لحاضرٍ موجود ، الأنزع المعبود0

ولقد قال أبو شعيب صلوات الله عليه في الأكوار والأدوار : إنَّ المعنى استشهد الاسم الأعظم سبع استشهادات في القدم قبل أن يخلق الباب والعالمين0

فكان الاستشهاد الأول عندما كان المعنى والاسم ولا أحد سواهماقال المعنى للاسم وناداه : إنَّني أنا، وأسمِّكَ الله باسمي لِمَن يُخلَقُ بعدَكَ فاعبدني أنا يا الله فاستجاب الله لدعوة أنا وقال: شهد الله أنَّه لا إله إلاَّ هو *(آل عمران 18)فكان هذا الاستشهاد للأنا إثباتاً لمعنوية أنا ونفي المعنويَّة عن الاسم فعند ذلك تسمَّى الاسم الله0

والاستشهاد الثاني والدعوة الثانية أعاد عليه القول على جهة التذكير بالأنا ، وكانت مدَّة كل استشهاد مائة ألف كور وسبَّح المعنى ذاته فقال له الاسم : لا إله إلاَّ أنتَ سبحانكَ*(الأنبياء 87) إنَّك أنت السميع العليم، أراد بذلك الأزل غايته ومعناه0

ثم استشهده ثالثةً وأعاده مائة ألف كور ودور، وهلل المعنى ذاته وناداه ودعاه فهلَّله وأجابه الاسم: لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيوم*(آل عمران 2)

ثمَّ استشهده رابعاً وأعاده مائة ألف كور ودور وقدَّس المعنى ذاته بذاته ودعا

الميم فأجابه الله الميم بقوله: لا إله إلاّ هو الملكُ القدُّوس*(الحشر 23)وشهد له بما شهد لذاته ، وكانت مدة ذلك التقديس والشهادة مائة ألف كور ودور 0

ثمَّ استشهده خامسةً كما مرَّ ودعاه وناداه فلبَّى الاسم دعوة معناه وأزله وباريه قائلاً: لا إله إلاَّ هو عالمِ الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم*(الحشر 22)0

ثم استشهده سادسةً ودعاه وناداه فقال الاسمِ للمعنى: الله لا إله إلاَّ هو *(طه 8)فكانت هذه الشهادة من الاسم للمعنى لا إلع إلاَّ الأزل أي المعنى الأزل ، ثمَّ أتمَّ الاسم قوله: له الأسماء الحسنى، يريد الاسم نفسه، أي أنَّ الاسم موضع الأسماء الحسنى وذلك قوله تعالى: الله لا إله إلاَّ هو له الأسماء الحسنى*(طه8)فلذلك كان الاسم موقع الأسماء فأعاده مائة ألف كور ودور0

ثمَّ استشهده السابعة ودعاه وناداه فلبَّاه الاسم بالتسليم والإقرار قائلاً ومشيراً إلى معناه : هو الله الذي لا إله إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * (الحشر22)فكانت مدة الاستشهاد مائة ألف كور ودور 0

فلاحظ خطاب الاسم للذات بهذه الآيات ، المعنى يقول: أنا، والاسم يقول : أنت لباريه وهو0

ولنرجعْ لتعريف (أنا وأنتَ وهو)من كتاب الله عزَّ وجلَّ وهو قوله في:

1- ال- أنا : ألا تروني أنِّي أوفيكم الكيلَ وأنا خيرُ المُنزِلين*(يوسف 59)إنَّني أنا الله لا إله إلاَّ أنا فاعبدني*(طه 14)وما أرسلنا من قبلكَ من رسولٍ إلاَّ نوحي إليه أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدونِ*(الأنبياء 25)وإنَّ هذه أمَّتكم أمَّةً واحدة - أي الصورة الإمام - وأنا ربُّكم فاعبدونِ*(الأنبياء 93)0

2 - الأنت: ربِّ أنزلني مُنزَلاً مباركاً وأنتَ خيرُ المُنزِلين*(المؤمنون 29) إنَّكَ لأنتَ يوسف *(يوسف90) إنَّكَ أنتَ السميع العليم *(البقرة 127)

وقول الملائكة لبارئهم:اظهر بما شئتَ كيف شئتَ أنت أنت تظهرُ بما تشاء0

3 - ال هو : قل هو الله أحد*(الإخلاص 1) الم* لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيوم *(آل عمران 2/1) ربّ المشرق والمغربِ لا إله إلاَّ هو *(المزمل 9) وآياتٌ كثيرٌ تشير إلى هذه الأسماء الذاتية الثلاث كقوله تعالى: هو الله الذي لا غله إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم*(الحشر22) هو الله الذي لا إله إلاَّ هو الملكُ القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبِّر سبحان الله عمَّا يشركون *(الحشر 23)هو الله الخالق البارئ المصوِّر له الأسماء الحسنى يسبِّحُ له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم *(الحشر 24)

فانظر بعين عقلِكَ لتكرار اسم (هو)بالذكر الحكيم ليدل على أنه من أخص الأسماء للذات0

*

كيفيَّة الحجب

إنَّ الله سبحانه وتعالى:

حجب القدرة بالعجز والقدرة تزيل العجزَ والتحديد عن الصورة ، حجبَ ذاته بتجلِّيه كصفاتنا، لأنَّ صفاته عينُ ذاته ، ونحن صفاتُنا أفعالنا0
حجب النور بالبشر أي بالعكس إنَّ أبصار البشر يحجبها النور المبهر0
وحجب القوَّة بالضَّعفِ امتحاناً واختباراً والحقيقة إنَّ القوَّة تزيلُ الضَّعفَ ، والضَّعفُ مكانٌ لظهور القوَّة والمكان غير المكوِّن والساكن غير المسكون 0
حجبَ المُطلقَ بالمقيَّد، ليعرَفَ المطلقُ بالمُقيَّدِ ، وبه يوجد0
حجبَ الهيولى بالصورة لأنَّ الصورة آلةٌ وسببٌ لمعرفةِ الهيولى كما أنَّ لا قيام للصورة غلاَّ بالهيولى 0
حجب الخلقَ بصفاتهم وهو حجاب المماثلة، وهو أشدُّ حجاباً لعالم البشر، فقالوا عند ذلك: ما أنت إلاَّ بشرٌ مثلُنا*(الشعراء 154)0
ثمَّ نعود لذكر الاستشهادات السبعة التي جاء ذكرها في كتاب الأكوار والأدوار النورانية للسيد أبي شعيب صلوات الله عليه وهي التي كانت بمثابة سبع ظهورات ودعوات للميم خاصة ، وروي أنها جرت لقدم الميم قبل إيجاد النوع المحدث وتعلقه به في مدَّةٍ تفوق على عدد قطر الأمطار ورمل البحار وأوراق الأشجار من الأكوار والأدوار مدَّةً تربوا على العدد ولا تتصف بأمد سبق بها قديم الميم النوع المحدث الذي هو الجسد الذي خلقه من نور نوره ، وجعله محلاً لترائي ظهوره ، وبهذه المدَّة المديدة والدهور العديدة سمِّي الميم قديم على محدثه وعلى جميع ما خلقَ لا قديمٍ بقدم الذات لأن الذات العظمى ليس لها بداية فيجري عليها الزمان وتكتسب قدماً باستمرار الدهور والأزمنة، لانَّ الأزمنة والأمكنة من صنعه ، فتعالى مولانا الأزل الذي كان ولا شيء معه ولا زمان ولا مكان 0
ومحدث الميم (ش) هو المكان (والسين) هو الزمان ، وإنَّ محدث الميم خلق جميع المحدثات ، فهو محدث عند قدمه الذي أحدثه، قديم لسائر المحدثات من عالم الأرض والسماوات 0
فبهذه الأسانيد الصحيحة ثبت أنَّ الميم نوعان ووجهان:
الأول: وجهٌ يواجه به باريه نور الذات الذي أُبدِعَ منه0
الثاني: وجهٌ يواجه به من هم دونه من العوالم ، والشاهد بهذا القول من كتاب الله تعالى قوله عزَّ وجلَّ: ويبقى وجه ربِّكَ ذو الجلال والإكرام *(الرحمن 27)
ومن جعل الميم نوعاً واحداً قدماً كلَّه فقد ساواه بباريه جلَّ وعلا ، والله نهى عن ذلك فقال تعالى: ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير *(الشورى11)، ومن قال أنَّه محدثٌ كلُّه فقد جعله مخلوقاً كالمخلوقات والله تعالى حذَّر عن ذلك في كتابه فقال: ويحذِّركم الله نفسه، كما أوردها أبو سعيد قدَّسه الله فقال: يحذِّركم اللهُ نفسه أن تجعلوه مخلوقاً كالمخلوقات أو محدثاً كالمحدثات 0
وقد عبَّر عن ذلك ذو القدر الرفيع الشيخ معلا ربيع قدَّس الله روحه عن المولى الصادق الوعد منه الرحمة حيث قال: إنَّ الصِّرفَ سلطانٌ جائر مذموم ،

والمزج سلطان عادلٌ محمود 0
فعبَّر عن الصرف الجائر هو أن تقول إنَّ الميم نوع واحد محدثٌ كله والمزج هو العادل المحمود وهو أن تقول إنَّ الميم نوعان ووجهان جلَّ الباري أن يكون له مثيلٌ أو عديل أو شبيه وتعالى الله العليُّ العظيم الأزل القديم ، فهذا هو الوجه الفرعي0
وأمَّا الوجه الذي يراد به الأصل : فالصِّرفُ المذموم : الإقرار بصورةٍ دون صورة ، والمزج العادل المحمود : وهو الإقرار بالصورتين نور وبشر0
ولمَّا كان قديم الميم وحده مع باريه واستشهده سبع استشهادات وكل استشهاد يعيده مئة ألف كور كما سبق الحديث فكلُّ استشهاد دعوة ونداء للميم يشهد الميم لباريه بالمعنويَّة ، وينفي عن نفسه تلك المعنويَّة ، ويشهد أنَّه عبدٌ لولاه وغايته ومعناه ، فلأجل ذلك كانت ظهورات الذات سبعةً من الهاء إلى العين ، وكانت ذاتيات الميم سبعاً لأنَّ موسى وهارون مقام واحد، وعبد الله ومحمد رسول الله مقامٌ واحد في ظهور واحد، كما أنَّ ذاتيات الباب سبع من جبرائيل إلى سلمان ، وكذلك الأكوان سبعة: الكون النوراني والجوهري والهوائي والمائي والناري والترابي وانفرد الكون السابع قدس المعرفة عن الدخول في العدد عن المخلوقين وهو الواحد محمد صلى الله عليه وسلم وهو أصل الاعداد0
وعدَّة العالم الكبير سبع وعدَّة العالم الصغير الضيائي الروحاني سبع، وعدة رتب المؤمنين عالمنا عالم الطين سبع ، وعدة مراتب أهل النار سبع وكل مرتبة لها من الدرك سبعة لأنَّ الدرج في الصعود لأهل الإيمان ، والدَّرك في السقوط لأهل الكفر 0
وقد جرى لكلٍّ من العالم النوراني دعوات سبع ، كما جرى مثل ذلك للعالم الصَّغير دعوات سبع ، كذلك تجلَّى لأهل هذه النشأة بالقباب السبع وجعل الأيام سبعةً دائرة بين هذا العالم ، فكان إقرار المؤمنين بالأيَّام في النهار ، وإنكار الكافرين في الليالي السبع، قوله تعالى: هو الذي خلق سبع سماواتٍ ومن الأرض مثلهنَّ يتنزَّلُ الأمر بينهن*(الطلاق12) ولله في خلقه شؤون0

{{{}}}
{{}}
{}

الباب التاسع في
معرفة الغيب المشار إليه هو بالصورة المرئية هي
وفيه بحثان للتعريف
معرفة الغيب بالصورة،ومعرفة الصورة بالغيب

اعلموا إخواني حرسكم الله معنى المعاني أنَّ المعرفة ضربان: من الأعلى إلى الأدنى وهو الترتيب التكويني، وعكساً من الأدنى إلى الأعلى وهو الترتيب التنظيمي

التعليمي، وهذا مثلٌ لتقريب الأفهام ، إنَّ الله تعالى لمَّا خلقَ الخلق ، وأراد أن يعرفوه ، وقد كانوا في الذرو الأول مثل دقِّ الخيال صوراً لا يأكلون ولا يشربون ، ولا ينامون وجعل لهم من العقل والعلم والاستطاعة ما يفرِّقون بين الخير والشر والحق والباطل ، ثم تجلَّى لهم ، ودعاهم إلى معرفته والإقرار له وهو ظاهرٌ بينهم كمثالهم بصورة، وإنَّ جميع الدَّعوات والأندية والتصريح للعباد كان الغيبُ المعنى القادر العظيم ظاهراً للخلق بصورة، وإنَّ جميع العهود والمواثيق المأخوذة على الخلق أُخِذَت عليهم بمعرفة الصورة والإقرار للصورة فقال لهم: لا تنكروني بأيِّ صورةٍ ظهرت0

وإنَّ الغيب والحد المجهول تجلَّى بظهوره في الحد المعلوم الصورة ، وصفة القهر والجلال بدا حسنُها وجمالُها بصورة، ونار موسى، ونار الفرس والعجم أعربت عن برد لطفِها في المظهر العربي الهاشمي بصورة، وهو أنَّ الذات العظمى سفرت له بصورة اللطف0

آياتُه عيانُ شهودِه قدرة، وبيوت وجوده صورة أُقِرُّ وأشهد لك يا علي أنَّكَ الغيبُ المشهود بهذه الصورة، وأنفي الغيبة والسكون والحركات والجهات والحدود عن هذه الصورة 0

وقد قال أحد محبِّي هذه الصورة الشيخ منصور الغرابيلي قدَّس الله روحه:

شمسٌ تبدَّت مشرقاً بصفاتي هي سرٌّ توحيدي وعقد ولاتي

أي أنَّ الذات العليا ظهرت كصفاتنا بصورة0

وأمَّا ما أورده صاحب المصرية محمد بن مقاتل القطيعي قدّس الله روحه وهو ما رواه بالأسانيد الصحيحة عن مولانا الحسن المجتبا صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه رأى مولانا أمير المؤمنين مقبلاً فقال له:قد أفلح من عرفكَ ظاهراً وآمن بكَ باطناً 0

يريد أنَّه قد أفلح من أقرَّ للصورةِ المرئيَّة بالمعنويَّة ، وعرف أنَّ الذات الأزلية ظاهرة بهذه الصورة0

وكما قال مولانا الإمام الصادق منه الرحمة للمفضَّل عليه السلام برسالة المفضَّلية وشرح قوله تعالى: هذا علي صراطٌ مستقيم، قال: اعلم يا مفضَّل أنَّ الصراط الذي ذكرته عامة من لا يعرفه وانَّه أحد من السيف وأدق من الشعرة ، فحدُّه علمُه الخفي ، واستقامته الإقرار بتلك الصورة ، فمن أقرَّ بتلك الصورة وعلمَ أنها ظاهر اللاهوت فقد استقام على الصراط الذي لا عوج فيه وعرف السرَّ الخفي والنور المضيء 0

وقال أمير المؤمنين عزَّ عزَّه ظاهري إمامة ووصيَّة أي ظاهر بصورة 0

وقول الأمير حسن قدَّسه الله وطيَّب ثراه :

وطلعت شمسُ الضُّحى عليَّ من وجه القمـــــــر

أي أنَّ الذات العظمى أسفرت له بصورة اللطف 0

وقوله أيضاً:

يحجبها عنَّا الغداة سفورها وتجلوا معانيها علينا البراقع

يبدو أنَّ الصورة كالشمس إذا انتقبت يسيراً ظهرت كثيراً، وإذا انكشفت استترت ، فإذا أسبلت الحجب والستُر أرت العالم الظهور ، وإذا كُشفت حجب الغفلة والسُتُر الغيبة شدَّة إفراط الظهور ، وقد اصطلح محققوا الصوفية من أهل التوحيد أن يرمزوا عنهما أي عن الشمس والقمر بالقدرة والصورة والجلال والجمال ، وذلك قولهم أنَّ القمر مستفاد من الشمس أي أنَّ القدرة دلَّت على الصورة 0

***

وأمَّا البحث الثاني

معرفة الصورة بالقدرة

وأنَّ الصورة بدت منها القدرة

وهو كما أورده شيخنا الشيخ محمد الكلازي قدَّسه الله في كتاب التأييد قال: إنَّ الباري لمَّا أراد امتحان العالمين ، وهو أعلم بهم ظهر لهم أي لعالم الملائكة بصورة الطفل الصغير كعيسى ثم أظهر لهم من الطفل علماً وقدرةً ، ثم بصورة الشاب المفتول السبال كمحمد وأوراهم من الشاب علماً وقدرةً ، ثم ظهر لهم بصورة الشيخ الكبير ذو الهيبة والوقار كموسى وأوراهم من الشيخ علماً وقدرةً ، وإنَّ أمير المؤمنين منه الرحمة ما عُرِفَ لولا إظهار القدرة، وقال لكميل عليه السلام : يا كميل أينما رأيتَ القدرة فهناك القادر 0

وقول مولانا عزَّ وجلَّ لزادان مولى سلمان عليه السلام: يا زادان إذا رأيتَ الصمتَ فاقضِ على غيري، وإذا رأيتَ النطقَ فانفِ عنِّي الصِّفة ، وإذا رأيتَ القدرة فأنا ربُّ العالمين وإنَّ جميع نظام الكائنات محفوظٌ بالقدرة 0

وقول السيد أبي عبد الله صلى الله عليه في قدَّاس أبي شعيب صلوات الله عليه : يا دليلاً لأدلته، يا ظاهراً بقدرته، جلَّ من أوجدَ المشيئة والفطرة واتصف بالعلم والقدرة فتعالى مَنْ صفاتُهُ عينُ ذاتهِ ، ولا صفة زائدة عليه ولا نعت، والتنزيه يكون عن صفات المحدثين ، وليس التنزيه عن صفات ذاته الذي هو نورٌ كلُّه ، سمعٌ كلُّه، بصرٌ كلُّه ، قدرةٌ كلُّه ، وإنَّ مولانا أمير المؤمنين العليّ الأحد ردَّ الشمسَ بالقدرة، وشقَّ القمر وأحيا الأموات بالقدرة ، وجعل العلامة التي بينه وبين عباده إظهار القدرة 0

وقال صاحب الجدول النوراني جلال الدين بن معمار الصوفي قدَّس الله روحه: ليكن أمره وإرادته جاريتين بالعلم والقدرة ، وقد رفع الله أولياءه بالعلم درجات ، وأيَّدهم بالبرهان كالقدرة0

فهذا ما المولى عليه قدَّر من معرفة الغيب بالصورة ومعرفة الصورة أنها عين القادر عند إظهاره العلم والقدرة0

تمَّ الباب بحمد العزيز الوهاب

الباب العاشر
في معرفة اختراع الباب ومنزلته

وخلاصة القول في هذا المعنى، نذكر في هذا الباب لمحةً عن ظهور المزاج ، وتشريف محدث الحجاب لقدم الباب واجتماع النورين وإقامة الرتبتين 0

ولمحة ممَّا قيل في اختراع الاسم من معناه كقطرةٍ بدا من بحر الأزل معناه ، وإنَّ جميع الخلق لا يرون من بحر الأزل إلاَّ كقطرةٍ من بحر جلالة الذات ، كما جاء في كتاب الأكوار والأدوار : إنَّ المعنى ظهر بالذي أهلَّه وأبدره وأقمره ، أي أنَّ المعنى بدا وأهلَّ وأورى الظهور من شمس اسمه سيد الملكوت ،ولمَّا أبدر كمال محدث الميم متحداً بنوعه القديم وتجلى الباري كمثاله فرأينا بدر البدور كأنَّه الشمس يغرب في العين عن كلِّ عين ، فرأتِ العيون العينَ كالقاف يغرب في الشين عند الظهر، والحقيقة فإنَّه يغرب في شمس الجلال والقهر في آخر الشَّهر لا باسمه يغرب ، فرأت العباد العكس أنَّ القمرَ يغرب في الشَّمس عند الفجر ويطلع بعد الظهر في أول الشهر لأنَّ اسمه منه بدا ، وإليه عاد وانتهى، فهذه صفة اسمه لا صفته ، فسبحان من حجب أبصار العباد وظهر كما أراد0

فكما أظهر الولادة من اسمه بالبشرية أظهر الولادة من شمسه بالنورانيَّة ، وهذا بالعكس ، وظهوره باللطف والأنس 0

وأمَّا ما رواه الشاب الثِّقة قدَّس الله روحه مرفوعاً إلى مولانا الإمام الصادق منه السلام والرحمة قوله: إنَّ الله خلقَ من نور نوره نوراً فهو به أبداً يظهر ويصفاته يتجلَّى ويتصوَّر لأنَّ كلَّ ما دون الذات من نوعين (قدم وحدث) ما عدا الذات قدم كلُّها لقول العالم منه السلام: إذا كانت الغيبة قدم فالظهور كله حدث إلاَّ ظهوره بالصورة الأنزعيَّة فقط ففيها ظهر الرَّبُّ بالقدم لذلك كلُّ ما وقع عليه البصر فهو حدث إلاَّ ظهوره بالصورة الأنزعيَّة ، وإنَّ المحدثات لا ترى إلاَّ محدثاً لأنَّ هذه الأشياء محدثة سمَّاها محدث مثلها لقوله تعالى: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمَّا أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيبَ السماوات والأرض*(البقرو33) فمن الكفر الصَّراح أن يُقال أنَّ اسم الله محدث كالمحدثات بل قديم لنا محدث عند باريه ، قديم بالنور محدَث بالظهور واستثنى وقال: إلاَّ الصورة الأنزعية ، وإنَّ ظهور الحقِّ بين خلقه عجيب0

وكما أورد السيد الجلِّي مرفوعاً للإمام الصَّادق منه الرحمة قوله: إنَّ الربوبيَّة لتخطر على قلب بشر وهو سلمان ، وقوله: لتخطر اللام لام التوكيد أي تخطر على قلب سلمان عند التشريف له حين سُمَّي بظهور المزاج ، وليس في المظاهر النورانية مزاج بل هذا ما رآه أهل المزاج فرأوا الباب الأكرم النفس الكليَّة الذي ظهرت عنه جميع النفوس،رأوه بصفات أنفسهم ، وسمُّوه بأسمائهم ظهور مزاج، والمزاج

فيهم لا فيه ، فكيف يكون مزاج وهو سلمان الباب نفسه؟0

قال في خبر الأعنَّة للمولى أمير المؤمنين منه السلام والرحمة : أشهدُ بأنَّكَ أحدٌ أبداً واسمك واحدٌ أبداً وبابك وحدانيَّة أبداً فالمزاج تماثل الصِّفتين عندما يقوم محدث الحجاب بالرتبتين ، وزيادة النور الأوَّل محدث الحجاب على النور الثاني قدم الباب فهنا يقال : ظهر به، أي ظهر ضياء محدَث الميم الأصل الواحد بصفة ضياء قدم الباب الفرع الوحدانية، وأنحل محدَث الحجاب اسمه اسم ضياء لقدم الباب كما أنحله اسم شمس وقمر ، فكان الباب موقع اسم الحجاب وصفته كما أنَّ الحجاب موقع أسماء المعنى وصفته قوله تعالى: هو الذي جعلَ الشَّمسَ ضياءً والقمرَ نوراً (يونس 5)0

فالشَّمسُ هنا محدث الميم وإنَّ السيد محمد خلق السيد سلمان بأمر باريه وأخفاه تحت تلألؤ ضيائه كالكوب حال إشراق الشَّمس عليه فيختفي نوره وهو باقٍ بحاله لم يحل ولم يختلط ، هكذا وجود الباب مع مولاه الحجاب ، كما هو حال وجود الاسم مع معناه ربِّ الأرباب ، وكما قال سلمان في خبر الأعنَّة بعد كلامٍ طويل ، وخلقَني كما خلقتَه ، وأبداني كما أبديتَه ، وأمرني كما أمرتَه ، فكنتُ له كما هو لك0

وقال السيد أبو عبد الله صلوات الله عليه عند ذكر السِّياقة: وظهر الاسم بالباب لا كالباب أي بصفة الباب لأنَّه على رأي شيخنا أنَّ روح الباب خُلِقَت من جسد الحجاب الذي ظهر به في البشريَّة ، وإنَّ الصورة والمثال هي الشيء وهو الميم ، وإنَّ السين في النورانيَّة هيئة لا صورة، والفرقُ بين الهيئة والصورة : أنَّ الهيئة تتفق والصورة تختلف ، فالهيئات كلها متماثلة والصور كلها مختلفة فيتم اسم الاسم (س 0 م) فحدث الميم وقدمه (م) وقدم الباب وحدثه (س) والألف اليتيم ظل ، فيتضح قول جلال الدين بن معمار الصوفي عليه سلام الله : لا سبيل للخلاص من ظلمات الجسم وحل ذلك الطَّلسم إلاَّ بمعرفة الاسم (أ) واسم الاسم (س) واسم اسم الاسم (م) وهي أربعة أسماء قوله تعالى: ولا تأكلوا ممَّا لم يُذكر اسمُ اللهِ عليه *(الأنعام 121) إقرأ باسم ربِّكَ الذي خلق*(العلق 1)سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى* الذي خلقَ فسوَّى *(الأعلى 2/1)

وقول العالم في كتاب الأسوس : إذا قال القائل أنَّ الشمس في السماء ، فقول الشمس اسم الجوهر ، وقوله في السماء: اسم المكان ،فبناءً على هذا القول وإشارته ودلالته يكون الاسم ظاهراً في الباب أي الشين بالسين، فيكون السين محل ترائي الميم وظهوره، كما أنَّ الميم محل ترائي العين وظهوره كمثله لا به امتزاجاً لأنَّ الباب لا دخولَ إلاَّ منه ولا معرفة إلاَّ به ، والميم هو الدين وهو قدس المعرفة ، ولا معرفة للطالب إلاَّ بسلمان وهو جبرائيل موحي العلوم فيدخل حرف (س) في أوَّل اسم سلمان وقدمه في آخر اسم محمد أي حدثه ليدلَّ بحرف المقال على وجود الحال ودلالة التكوين واضحة في عالم النور كما دخلت الياء في رحيم ، وفي اسم حسين في عالم البشر 0

وقد جاء في كتاب التجريد قول الشيخ حاتم الطوباني قدَّسه معنى المعاني مرفوعاً لمواليه الكرام شرح قوله تعالى: فلمَّا تجلَّى ربَّه للجبل جعله دكَّاً وخرَّ موسى صعقاً*(الأعراف 143) إن الجبلَ في هذا الموضِع هو الباب المخلوق من جسد الميم فاندكَّ هذا الجسد الجبل لمَّا تجلَّى له الأزل عندما طلب موسى الرؤية قال له الأزل: لن تراني، أي لمَّا طلب الاسم رؤية معناه بالصِّفة التي كان يراه بها قبل تعلُّقه في حدثه وقول الأزل له : إنَّكَ لن تراني 0

أي لن تراني بتلك الصِّفة لتعلُّقِكَ بالحدث الذي هو الجسد ، فلمَّا تجلَّى ربَّه للجبل بالصفة التي طلب رؤيته بها جعله دكَّاً وخرَّ موسى صعقاً ، وذلك أنَّ الأزل لمَّا تجلَّى للسيد موسى بالذات بالصفة التي كان يراه بها عند اختراعه اندكَّ الباب في مبدعه ، وغاب في عنصره لأنَّه من جسد الميم بدا ، فلم يستقر لتجلِّي الذات بل اندكَّ في مبدعه ، وغاب في قديمه وهو محدث السيد محمد وعاد شيئاً واحداً كما خلقه حين بدوه من نور نوره ، فلمَّا أعاده إليه وغيَّبه فيه عاد الاسم وحده مجرداً من هيكله واندكَّ الباب فيه 0

فاعلموا إخواني : أنَّ هذا الاندكاك هو غيبة قدم الباب (الضياء س)تحت تلألؤ ضياء الشين وهي قديمه وعنصره، فظهور المزاج يسمَّى التكوير لقوله تعالى: يكوِّر الليل على النهار *(الزمر5)فالتكوير ظهور الاسم بالباب في سطر الإمامة إلى أن ظهر الحجاب والباب بشخص واحد وهو من سلمان إلى أبي شعيب علينا سلامه وهذا مأخوذ من قوله تعالى : يكوِّر الليل على النهار *(الزمر5) فعند ذلك يقال له الله ، ولا يقال له الله إلاَّ عند ظهور الاسم به لأنَّه إذا ظهر الاسم بالباب انمحت الصورة البابية وظهرت الصورة الاسمية يمحو ما يشاء ويثبت ، والذي يخفي هذا الكلام عن العقول هو أنَّ الاسم ظهر بالباب ونريد فيه بأنَّ الباب خفيٌّ عن الأبصار تحت تلألؤ ضياء أصله ومعدنه محدث الحجاب ، فيكون ظهر محدث الحجاب وخفي قدم الباب ، أي ظهر محدث الحجاب بصفته ، وأخفاه تحت شهرة ضيائه وشدَّته ، وهكذا حال اليتيم الأكبر 0

ولمَّا سمي هذا التشريف بالتمازج وظهر الميم بالسين ، ومازجت أنوار جسد الميم روح السين فلا بدَّ من وقوع الزيادة عند الممازجة وتلك الزيادة هي التشريف ، وهي التي سُميت ممازجة في عالم المزاج ، وبيان ذلك هو زيادة النور الأعلى على النور الأدنى فالزيادة وإن تكن مادة متَّصلة وكما قال شيخُنا الكلازي عليه السلام : إنَّ هذا التمازج لم يجرِ في النورانية ، ولم يجر إلاَّ في هذه القبَّة العربية 0

وإنَّ هذه الزيادة زيادة علم عند تشريف الأعلى للأدنى فيقع في النور الأدنى زيادة من النور الأعلى لم يكن يدركها إلاَّ بالتَّمازج الواقع في أوانه فاجتماع الأعلى بالأدنى يوجب للأدنى التَّشريف ، فإذا كانت أشخاص الميم خمسة : محمد المشيئة، فاطر الفطرة، الحسن العلم، الحسين القدرة، محسن اللطف الخفي ، فإنَّ مركز العلم الحسن في مكان التوسط بالعلم المعنوي المعطى مثالاً للحسن كشجرةِ

معلنةِ البيان تبدو معانيها بتثليث فرض الحلل، وتربيع جمال الكمال كصفة العلم الحسن ككون الضياء جبرائيل الباب سلمان شخص الزكاة خمسة دراهم لياالي البيض والنظرة المعطاة له من الباب الدال ، وصورة الجمال وغاية الآمال بليالي الكمال الساطعات وإيتاء المتَّقين الزكاة ، ومعرفة إخفاء قدم الباب بالثناء تحت تلألؤ ضياء الحسن كليَّة الأسماء الحسنى ، وإخفاء قدم الميم الخفي محسن الخفي في المركز الأسنى تحت تلألؤ نور المعنى حتى إذا غارت أبصار عالم الأغيار عن نور منير الأنوار قالوا أنَّ الماء غار ، وأصبح ماؤها غوراً وجاءت الرجعة البيضاء والكرَّة الزهراء وقال تعالى: وجعلنا ابن مريم وأمَّه آيةً وآويناهما إلى ربوةٍ ذات قرار ومعين*(المؤمنون 50) وقال تعالى : يا عيسى إنِّي متوفِّيكَ ورافعكَ إليَّ*(آل عمران 55)وقوله تعالى عزَّ وجلَّ : في بيوتٍ أذنَ الله أن تُرفعَ ويذكرُ فيها اسمه * (النور36)

أي يذكر محدث الحجاب بصفة ياء العلم الصادر عنه وهو قدم الباب ويرفع إدريس ذو الجلالة في الإزالة وظهوره كمثاله ، وخرَّ موسى صعقاً وهو غيبته كقطرةٍ في بحر الأزل بغير حلولٍ بشمس القهر والجلال ، ولمَّا بلغ الباب إلى مطلع شمس الحجاب وجدها تغرب في عينٍ حمئة إذ هي أصله وفصله وقديمه وحكيمه ، وهكذا يُعرف الأعلى (م)بالأدنى (س) 0

وأمَّا معرفة الأدنى بالأعلى أن يعرف قديم اليتيم بصفة محدث الباب الحظيرة القدسية ، الخضراء الديباجية ، السماء الضَّاحية، وقد أخفى محدث الباب قدم اليتيم تحت تلألؤ نوره وظهر بصفته ، وأعطى صفة كونه الظلِّي المخلوق من الحظيرة القدسية الخضراء الديباجية مماثلاً له بلا مزاج ، وإنَّ محدث اليتيم هو النجم المعروف بزحل وقدمه متحدٌ بحدثه مذ كوِّن وكذلك حدث الباب – السين السماء المحيطة بالأفلاك –متحدٌ بقدمه الذي هو روح الباب الضياء المخلوق من ضياء الشين نوع الميم المحدث فهو موجود موضع تكوينه وتحت ضياء الشين مسكنه فلا يعاين ولا يرى ولكن يرى محدثه ، وزيادة الضياء والمدد النوري له من أصله الواحد الذي سمَّاه أهل التوحيد بالممازجة ، لامتزاج ذات كل منهم بالآخر بل كغياب النجم الصغير حال إشراق الشمس عليه وهو باقٍ بحاله لم يحل، ولم يختلط أبداً ، وإنَّ توحيد مذهبنا مذهب السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نضَّر الله وجهه الابتعاد عن الحلول والاتحاد والاختلاط ، وإنَّ المظاهر النورانية إفراج لا مزاج فيها ولا أنا أنت ولا أنتَ أنا، وكل كاتبٍ مجاهدٍ يكتُب ويجاهد لإيضاح هذا السرِّ وهذه العقيدة وتبسيطها للطلاب المسافرين على جادة الحق ومنهج الصدق ، وينصحهم بالابتعاد عن الحلول 0

وكذلك قديم الميم الخفي أخفاه باريه تحت تلألؤ نور ذاته وظهرت الصورة المرئية للعيان كصفاته ، وكذلك الصورة المرئية عرف بالقدرة البطون ، هذا السلوك والترتيب من الأعلى إلى الأدنى 0

وأمَّا معرفة الأدنى بالأعلى إنَّ جلال شمس القدرة ظهرت وعرَّفت ذاتها بصورة اللطف وظهورها بصورة ، كذلك جميع ما أظهرته الصورة من الأسماء والصفات واقع على الميم ، وجميع ما أظهره محدث الحجاب من العلم والأفعال واقع على الباب ، وجميع ما وصِف بفعله الباب من الرعود والبروق والزلازل والخسوف والتدمير والهلاك والتدبير للأملاك واقع على الظِّلِّ اليتيم الأكبر ، وبالسير من الأدنى إلى الأعلى جاءت الآيات بالذكر الجليل لإبراهيم الخليل قوله تعالى: فلمَّا جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربِّي *(الأنعام 76)ثم القمر ثم الشمس ثم إغرابه واستغراقه باللطف والأنس وتهليله وتسبيحه والتكبير عن أقانيم حدود التصوير والإطلاق لنور المنير عن الإدراك بالعقول والتفكير وهو الهو الذي لا إله إلاَّ هو ولا يعلم ما هو إلاَّ هو ، فماذا يعرفون ويقولون خلق خلقه ولا يرون إلاَّ كالبعوضة المظلمة العميَّة من سناء الشمس المضيئة 0

وفي الخبر إنِّي رأيت الحسين ليلة عاشوراء صاعداً إلى السماء والشمس على ذراعيه كأنَّها الذهب المرشوش يزداد نورها بهجةً وسناءً وقد أغشى نوره أهل السماء وأغشى أبصار أهل الكدر والعمى وأعمى العامة العمياء فسمي بالعشاء0

والشاب الثقة عليه سلام الله في رسالته المرشدة يقول في الباب الثالث منها في شرح الآية الكريمة قوله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله*(الإسراء 1)فمعنى قوله: من المسجد الحرام : يعني رتبة الباب لأنَّها هي المحرَّمة على أهل المراتب ، ومحرَّم الارتقاء عليها والبلوغ إليها يؤيد ذلك قوله تعالى : وما منا إلاَّ له مقامٌ معلوم*(الصافات 164)أي رتبة معلومة وهذا من قول الباب علينا سلامه 0

ومعنى قوله: إلى المسجد الأقصى: يعني رتبة الحجاب التي هي الغاية القصوى وغايته معناه 0

فسبحان: كما ذكرنا هو الميم وهو الساري بعبده ، والعبد المسرى به هو سلمان أو السين وظهوره بمثل صورته تشريفاً له في أحد عشر مقام من سلمان إلى أبي شعيب صلوات الله عليهم 0

وقوله تعالى:فلمَّا تجلى ربُّه للجبل جعله دكَّاً *(الأعراف 143)وشرحها صاحب التجريد أي لم يثبت لنور الذات إلاَّ ما منه بدا، والجبل هو الباب ومعناه أزاله وظهر كهيئته ولم يكن يظهر الاسم بالباب إلاَّ في هذه القبَّة المحمديَّة فقط 0

ولقد ورد قول الجلي عن شيخه عليهما السلام : فعندنا وعلى رأينا أنَّ الاسم يظهر بالباب لا كالباب ، فقد يختلف ويتعذَّر على العقول الجمع بين الروايتين ومعناهما والأوضح أن نقول :أنَّ محدث الاسم خلق الباب بأمر باريه من نور نوره ، فإنَّ الشين هي ضياء والباب هو الضياء ، فظهر الضياء الأول بصفة الضياء الثاني ، فلهذا الجلي يقول: ظهر بالباب 0

وهذا قول أبي سعيد مثله أي ضياء الحجاب كضياء الباب ، وقد ضرب أحد الموحدين مثلاً جلياً لظهور الاسم بالباب فقال: إنَّ اجتماع النورين وإقامة الرتبتين وزيادة النور الأول على النور الثاني هو مثل سراجين مضيئين في بيتٍ واحد فغلب نور أحدهما على نور الثاني حتى لم يعد يُرى للسراج الثاني ضياءً أبداً ، لذلك فلم تر الأبصار إلاَّ ضياء سراج واحد ضرب الله مثلاً وجعل المثلَ سبيل الاستدلال ، أسأل الله باسمه وبابه صلوات الله عليهم فتح أقفال القلوب لمعرفة السرِّ المحجوب والمثل المضروب0

*

الباب الحادي عشر
في معرفة الإطلاق والتقيُّيد

الإطلاق والتقييد كقولك المحدود وغير المحدود فالمحدود هو الكائن في المكان والجاري عليه الزمان ، وغير المحدود المطلق ،هو الذي لا يحدُّ ولا يكيَّف ولا يوصف ولا للقائل فيه مقال ، ولا يدركه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسل ولا يعلم ما هو إلاَّ هو ، وهو الذي دلَّنا عليه وعرَّفنا ذاته الظاهرة للعيان وهو سبحانه غير مقيد بالصورة ولو كان مقيَّداً بها لوقع تحت الحد والزمان والمكان ، وكانت تراه وتدركه أعين المحجوبين 0

ولو كان مقيَّداً بغير الصورة أي البطون لا امتنع ظهورُه وكان مقيَّداً في عين إطلاقه ، والذي تراه العيون مقيَّداً بصورة مرئيَّة هو نفس المطلق ، فتبيَّن لنا أنَّه غير مقيَّد بالصورة ولا بغيرها كما قال الأَمير قدَّسه الله:

أنا في هواه مطلقٌ ومقيَّدُ   فعجبتُ كوني مطلقٌ ومقيَّدٌ

وفي عرف أهل الحقيقة أنَّ الإطلاق والتقييد هما الظاهر والباطن هي هو ذاتاً وجوداً وحقاً ويقيناً ، يعني الصورة الظاهرة للعيان هي عين الحق المبين المسفر لأهل المعرفة والإقرار ، والباطن عن أهل الجحود والإنكار لا هو هي من حيث ما رأته الأعين الشحمية اللحمية لأنَّ المرء ما زال في أسر الطبيعة لا يرى إلاَّ مثال كونه 0

أثبتُّ ما عاينتُ من نحوها   بمحو ما عاينتُ من نحوي

كما قال الأمير حسن قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه فالذي له الإثبات ما كان من نحوها ، وهو وجودها الظاهر للعيان والذي حقَّ له المحو هو ما كان من نحوي كالحركة والانتقال والحدود والدخول في الزمان والمكان وجميع ما حمِل على العجز لأنَّه عرضٌ داخلٌ على الأبصار ولا حقيقة له ، ومذهبنا مبنيٌّ على هذا المعنى أي الإثبات والنفي 0

وفي التنبيه وديوان الأمير ما يغني ويكفي في معرفة الإطلاق والتقييد وهو الباطن والظاهر وهو بكلِّ شيءٍ عليم 0

وأمَّا الفرق والجمع في الحالين والظهورين : فكثرة الظهورات هي الصورة تغيب

في أحدية هو ، فالجمع هي هو بالذات ، والفرق لا هو هي بالأسماء والصفات ، وكقول الأمير حسن بن مكزون السنجاري قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه:

لمغيبِ قلبي في هواكم مشهدُ كلُّ البريَّةِ مطلقٌ ومقيَّـــدُ

فالمغيب مصدر غاب واختفى ، والمشهد الحضور ومكان الشهادة ، والبرية: الخلق ، والمطلق: ما دلَّ على غير معيَّن ، وضده المقيَّد ، وهما بمعنى الخاص والعام 0

والمطلق عند الأصوليين الدال على الماهيَّة بغير قيد وخلافه المقيد ويراد به مظهر تجلِّي الأسرار العينية على جميع الآثار الكونية لجمعه في برزخيَّته بين الإطلاق والتعيين فيضرب بذلك مثلاً لمعرفة الذات الأزليَّة(هو) الغيب من جهة الإطلاق و(هي) الصورة المرئية الوجود المتعين في الظاهر والساري في المظاهر الجامع لصفة الجلاليَّة والصورة الإنسية الجمالية في التعيين والتقييد ، فتعلم بذلك أنَّ الوجود المطلق للباري خاصة ، ولسواه مقيد بخط حدِّ النهاية للمخلوق، والخالق هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، تجلَّى هذا النور المطلق اللانهائي كصفة خلقه بصورة ذات حدود ورسوم ، وهذه الحدود واقعة على الأبصار الناظرات لا على نور الذات فكلٍ يراك قدر طاقته ويتأمَّلُكَ حسب رؤيته 0

ولولا تجلِّي الحق لم يقمْ شيءٌ في الوجود ، لأنَّه لا قيام للموجودات بذاتها ولا تتحركُ ذرَّة في الكون إلاَّ به وإن لم تكن شاعرة بذلك ، فأمعِن البصيرة وانظر بعين عقلكَ فإنَّكَ لم تر جسماً نوريَّاً كان أم بشريَّاً كثيفاً كان أم لطيفاً إلاَّ وله وجهان وجه لذاته مقيَّد ووجهٌ مطلقٌ يواجه به علَّته ويستقبل به منافعه التي بها قيامه وسببٌ لبقائه ودوامه ، وذلك في علم الهندسة كالخط الشاقولي العمودي من ضياء الشمس من الأعلى إلى الأدنى وله طرفانِ ، فيسمى الطَّرف الأعلى ارتفاع ، ويسمَّى الطرف الأدنى عمق، والسير طرداً وعكساً وهبوطاً وصعوداً0

ولنرجع لذكر المطلق والمقيَّد ، فالكرة الأرضيَّة بحجمها جسمٌ مقيَّدٌ تقف في المطلق اللانهائي وكتلتها مقيدة تقوم ، وتقوم بالشعاع المتنوِّع والأضواء المتنوعة المطلقة والعناصر الذريَّة الكيميائية الأخرى التي تضيءُ وربَّما تكون هذه العناصر أفعال الأفلاك والكواكب الدائمة لإرسال الغير متناهية الوجود الدائمة الخلود ، فسبحان الله وتعالى عمَّا يشركون ، فإذا رأى الطالب هذا العلم ، وهذه الصنعة الحكيمة كانت سبباً له للإيمان والإقرار بالوجود ، وإذا علمَ ذلك الكافر لم يرَها إلاَّ جماداً ولم يردعْه علمه عن الإنكار والجحود، وقد0

وقد يقال أنَّ الأرض تقوم بأشعة الشمس لأنَّها من المجموعة الشمسية، وهكذا الشجرة بحجمها مقيَّدة وإطلاقها من حيث مددها أولاً من التراب ، وثانياً من الهواء والضوء 0

والإنسان يلزمه ما يلزم سوه من حيث الجسمانيات فقط ، ولكن خصَّصناه بالذكر لننتقل من بحثه إلى بحث ما فوقه من عالم الملكوت الأعلى لأنَّه أي الإنسان البرزخ ما بين الوجوب عالم البقاء وبين الإمكان عالم الفناء فنقول ونخص

بالقول المؤمنين لأنَّ الكافرين تابعين لعالم الحيوان ، والمؤمنون كوِّنوا في ذرو الأظلَّة والأشباح والأرواح من الستة الأكوان النوراني، الجوهري،والهوائي، والمائي،والناري، والترابي، والهويَّةُ دائماً مطلقة وما يصدر عنها مقيد 0

واليك صورة التقييد والإطلاق لكلِّ كونٍ من هذه الأكوان الستَّة ومعلوماته0

إنَّ روح المؤمن جزءٌ من أربعة آلافَ جزء من نور السيد محمد ، وقيل من النَّفس الكليَّة الباب، فهي بنور جسمها النوري وحجمها مقيَّدة جزئيَّة ومطلقة حيث إنَّها لا نهاية لها فهي خالدة ومددها دائم بدوائر الأبد سرمدية بما تلقاه من أصلها الباب الكريم السرمد ، والكون الجوهري الألف اليتيم، فالمؤمنون قوابلهم مقيَّدة نسبةً للكليَّة الذي هو الكون الجوهري ، وما شاع من شاسع أبعاد ذلك البحر الجوهري الذي صدرت عنه جميع أنواع جواهر الأفكار ولطائف الأسرار مطلقاً عن قيد الجزئيات باستمرار ، ومن الواضح المعلوم أنَّ الجزئيَّة مقيَّدة والكليَّة مطلقة 0

والكون الهوائي له اسمان وصفتان ، فإذا قيل الهوى يراد به ومضات سريَّة قدسية وهو الحبُّ المقدَّس عن كثافة المادة والنفوس ملكه وهي بحكمه أعني نفوس الحكماء لا الجهلاء، وإذا قيل الهواء أعني به الرياح والأبدان بحكمه حيوان ونبات وهو منافع لها مطلقة، وفيه منافع للناس والأبدان مقيَّدة في بحره0

الكون المائي وله حكمان وصفتان:

أولاً : يقال إنَّ الماء هو الجوهر السائل ، وكثيف الأشياء من كثيفه ، ولطيفها من لطيفه ، وهو مطلقٌ في الخلاء كذرِّ الأكسجين والهيدروجين والكلس والكلور وهلمَّ جرى ، مطلقٌ باقٍ لا نفاذ له والأجسام مقيَّدة به وتتركب منه 0

ثانياً:جسم الماء العادي كماء الأمطار وماء المحيطات والبحار والأنهار مطلقٌ والأجسام مقيَّدةٌ به تعيش به وتتركَّب منه ، وهي أجزاء مقيَّدة ، وهو كلٌ مطلقٌ نسبة لها، وكلُّ ذلك دلالة على إطلاق الباري عن الحدود وتقييد المخلوق ، والماء الباطن هو العلم الإلهي المطلق والشخص الدال عليه جبرائيل0

الكون الناري: هو كليَّة مطلقة وهو الحرارة الكونية الكليَّة ، ومصدرها الشمس ومنها الحياة والحرارة والحركة الدائرة المطلقة اللانهائية والنفوس والأجسام مقيَّدة بفعل هذه الحرارة الكونيَّة المخلوقة كليَّة لما دونها، جزئيَّة نسبةً لما فوقها ، وربَّما يراد بالنار المظهر الفارسي ونار القهر ، وبالبرودة اللطف0

الكون الترابي: وأمَّا الأجسام الماديَّة مركَّبة غيريَّة من مئةٍ وأربعين عنصراً ذريَّاً أغيار متنوِّعة ، فكلُّ ما يوجد على هذا الكون مقيَّد نسبةً له ، وهو مطلقٌ نسبةً لما يتركب من عناصره ومواده أي الطبيعة مطلقة ، والأجسام الصادرة من الطبيعة مقيَّدة بها 0

ولْنرجعْ لتعريف الحقِّ الظاهر بصفة الخلق والفرق بينه وبين خلقه ، فإنَّه جسمٌ لا كالأجسام فكل ما ذكرناه مقيَّد بذاته ومطلقه منافعه ما عدا الحق عزَّ وجلَّ مطلق بذاته لا نهاية له ، فمَن وُجِدوا بقدرته مقيَّدون بأمره وقدرته وهذه الموجودات

لا نسبة لها لصغرها ولكن نقول كبذرة ثمرة التين نسبة لكل الوجود ما علا منه وما سفل، فالله أجل والمخلوق أقل ، هكذا الدخول من معرفة المقيَّد إلى معرفة المطلق0

فقد تكلمنا باختصار فأحدقوا الأبصار وأمعنوا الأفكار وادخلوا الباب وقولوا حطَّة أي ادخلوا من باب معرفة الوجود الصورة التي رآها العالمان مقيَّدة تصحّ لكم معرفة الذات الأزليَّة المطلقة اللانهائيَّة0

الباب الثاني عشر
في
معرفة الفرق والجمع

إنّ معرفة الأسماء الحسنى(متعددة فرق)فهي صفات أفعال تدعى بها العباد مثل عالم، قادر، غني ، حميد، جبَّار، قوي، حكيم، خبير، مؤمن000الخ لأنَّ الأسماء الحسنى هي فرق تسعة وتسعون اسماً0

وأمَّا الجمع واحد لأنَّ هذه الأسماء والصفات مصدرها من المعنى الأحد أوهبها للميم الواحد مولاه الأحد أمير المؤمنين منه السلام والرحمة جمع، فالجمع الذاتي، والفرق الصفاتي0

ففرق الوجود أربعة، وجمعه واحد: لأنَّ لكلِّ موجود أربعة وجودات:

1- الوجود الذهني:هو أن تريد شيئاً بفكرك وذهنك0
2- الوجود الرقمي: هو أن ترقمه كتابةً0
3- الوجود اللفظي: هو أن تقوله لفظاً0

الوجود الذاتي: هو أن يكون هذا الشيء موجوداً بذاته عندئذٍ لا حاجة للوجودات 0

- **الفرق: كثرة الظهورات، الجمع تجمعها أحدية الذات0**
- **الفرق: الآيات، الجمع: الكتاب**
- **الفرق: مظاهر الميم، الجمع: هو الواحد**
- **الفرق : مظهر الباب، الجمع: النفس الوحدانية شخص واحد0**
- **الفرق: الأيام والشهور والدهور: الجمع يجمعهم الزمان السرمد0**
- **الفرق:الأفعال، الجمع : الفاعل واحد0**
- **الفرق: النبات وأنواعه، الجمع جنسه0**
- **الفرق: الجماد وأنواعه، والجمع: جنسه0**

أيضاً: إنَّ القمص التي يقضيها المؤمن في البشرية هي فرق، تجمع هذه القمص البشرية روح طاهرة نورانية جمع، كذلك أنظر في عالم الحس، عن الفرق: الشجرة مع أغصانها جمعها الأصل واحد0

فالحذر ثم الحذر يا إخواني من جمع أي ذات شخصين لشخص واحد آخر، فلا أقول إنَّ قمصاني التي قضيتها تجمع لغيري وهكذا في عالم النور لا يجوز أن تجمع ظهورات أي شخص لشخص آخر ، فإذا كنت أنت بذاتكَ كان غيرُكَ مغايراً لك، فبحث الغيرية والعينية واضح إذا كانت بيدكَ جوزة فهي غيرك ، وإن كانت الجوزة

عين ذاتكَ فليس بيدكَ شيء 0
وهكذا إذا كان الحقُ غير الخلق كان الحقُّ خالقاً وأنتَ مخلوقاً ، وهكذا في العدل لا تُضَمُّ أعمال أحدٍ لأحد ، والله هو الأحد والاسم الواحد0
ويدخل في هذا الباب بحث الكليات والجزئيات، وهو إنَّ الجزئي منسوب إلى الجزء ، والكلي منسوب إلى الكلِّ وهو مجموع الشيء المحيط بأفراده ، ومعنى ذلك إنَّ كلَّ جزء محيط بكل الكليات الجامعة لجميع الجزئيات كما هو موجود في الأشياء وتشريح الأجسام وهو أنَّ الجسم كله أفراد جزئيات من مئة وأربعين عنصراً كيميائيَّاً ، أوكسجين ، وهيدروجين ، وكلور، وكلس ، وغاز، وذهب، وفضة، وحديد000 إلى آخر ما هنالك من العناصر التي تجمعها الطبائع الأربع: الهواء والماء، والنار، والتراب، فإذا تفرَّقت كانت أجزاء ، وإذا تجمعت كانت كل ، وهذا تعريفٌ لنعمة الله قوله تعالى: وأسبغَ عليكمْ نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً*(لقمان 20)،
فالنِّعم الظاهرة: هي الأنواع الحسيَّة ، كالطعام والشراب ، وصحة الأبدان والأملاك والأرزاق000الخ0
والنِّعم الباطنة: هي العلم والإيمان والعقل والحلم والحياء والإخلاص والمحبَّة والسَّكينة قوله تعالى: وإنْ تَعُدُّوا نِعمةَ الله لا تحصوها*(النحل18)0 فالأنعام أجزاء وكلُّها من فضل الله ، هذا ما يختصُّ بمعرفة الجزئي والجزء0
أمَّا ما يختصُّ بالكليَّة والكل: سنشير إليه بنكتةٍ خفيَّةٍ ، إنَّ الكلَّ يظهر بصفة الزيادة والنقصان وهو أجلُّ، والكليَّة لا تقبل الزيادة والنقصان وهي الأزليَّة 0
والتعريف في عالمنا هذا هو أنَّ الجسم كل وهو قابل للزيادة والنقصان ، والكليَّة مصادره فهي لا تنقص، والمعقولات كليَّة لا تقبل الزيادة والنقصان وهي: الإرادة ، والعلم، والحياة ، فإرادتكَ كليَّة تريد بها على الدقائق والثواني ولا ينقص من إرادتك شيء0
وعلمكَ كليَّة،تُعَلِّمُ وتُعَلَّمُ ، فإذا علَّمتَ الناس ازداد علمُكَ ولم ينقص0
وكليَّة حياتك ، تحي عمركَ كله ولم تنقص الحياة بك ، بل ينقضي عمرك لأنَّه ليس كليَّة بل كل 0
فالكلُّ أجزاءٌ متفرِّقة ينقص بذهاب بعض أعضائه أو أجزائه0
والكليَّة: نوعٌ واحدٌ غير متجزِّئ ،لأنَّه يعطي ولا ينقص0
والحلل الثلاث: – كل – الصورة المرئيَّة تشرق بالصفة الجمالية ، وتغرب في الذات الكليَّة الأزليَّة ، ومعنى الأزلية في اللغة العربيَّة: هي التي سقط عنها من البداية وإلى النهاية ، وهي اللاهوتيَّة ، الأحديَّة ، الصمدانيَّة، الجبروتيَّة، المعنويَّة، الصِّفة الجلاليَّة 000إلى آخر ما هنالك0

الباب الثالث عشر
في
معرفة السلب والإيجاب

اعلموا إخواني حرسكم الله: لمَّا كنا نحن في عالم الحس فيجب علينا إذاً: معرفة صفاتنا الحسيَّة وتقلُّب أحوالها الغيريَّة، فنقول إن علم الكيمياء الحسي الجوهري والمجهري أثبت أنَّ كلَّ ذرة صغيرة تجمع صورة الوجود الحسي الكلي، وأنَّ كل ذرَّة لها كليَّة خاصة بها، ومع اختلاف أنواع عناصر الذرة التي حصل بها هذا التقدم العلمي والصناعي والطبي، فأوصاف خلق هذه الذرة متفقة كلها أنَّ لها عناصر ثلاثة: نترون، بروتون، الكترون، فتثليث الوجود مرئي وتثليث الصفات ظاهر ، والصنعة على صانعها تدل لمن كان له عقل ، فكلُّ شيءٍ له وسط وطرفان ، وعلى التثليث بنيت قواعد سائر الأديان 0

فالجسم وسط، وقبضه وأخذه سالبٌ من جهةٍ ما وطرفٍ ما ، والإخراج والإعطاء منه طرف آخر إيجاب0

فانظر إلى الأشجار ، فهي في الخريف سلبٌ، وفي فصل الربيع إيجابٌ0

والإنسان في أوائل عمره إيجابٌ، وفي آخر عمره سلب0

والحياة إيجابٌ والموت سلبٌ ، والوجود إيجابٌ والعدم سلبٌ ، والنهار إيجابٌ والليل سلبٌ وهلمَّ جرى من قوانين الوجود0

فنقول كل هذا دلالة على الحق ، وإنَّ واجب الوجود بذاته هو الذات ، والحق والخالق واجب، وما سواه ممكن ، فالممكن وجود بين عدمين أي مسبوق بالعدم ومآله إلى العدم ، فواجب الوجود بذاته دائم، والممكن ممكن أن يكون حيناً، وحيناً لا يكون0

والوجود قسمان: قسم أمر ملكوتي وجوب دائم، وقسم نخصُّه بالذكر سلبي ملكي خلقي ترابي، فإنَّ مذهبَنا : سلب الصفات المحدثات مع إثبات القدر والمعجزات ووجوبها الله بالذات0

فالذات الأزليَّة كقطبٍ واجب أي الأزليَّة الكليَّة كالعلم والقدرة والإرادة تعطي ولا تنقص ، والمكوِّنات والمخلوقات بأسرها كقطبٍ سالب أي تقوم بقوَّة الواجب لا بنفسها ، ومذهبنا سلب الصفات، والوجوب إثبات القدرة بالذات، أشهدُ أنَّ لا إله (سلب) إلاَّ الله (إيجاب)وهي سلبٌ وإيجابٌ ، وأشهدُ أنَّ لا إله: نفي القدرة المطلقة الذاتية عن القطب السالب المخلوق،(إلاَّ الله) إثبات وجوب القدرة والعلم والإرادة للواجب واجب الوجود بذاته، وسواه قائمٌ به ، فالخلق قائمون بصفاتهم صفات الحق من العلم والقدرة والإرادة والحياة، والحقُّ ظاهرٌ بصفات الخلق من التصوير والحركة والسكون والحدود والجهات 0

فالتنزيه الحقيقي : أن تردَّ لكلِّ قطبِ صفته ، فإذا نظرتَ تجلي الحق بما ذكرنا

من الحدود والجهات والحركة وإحاطة السماء بهذا التجلِّي فارجِعْ هذه الصفة لذاتِكَ أيها المخلوق الناظر صفته ، وإذا نظرتَ إلى دوام الموجودات قلْ هو الدائم0
وإذا نظرتَ إلى مقدرة الصناْعة العلمية فقلْ: سبحان من أبدع العقلَ وجعل به مبدأ الصنائع والفعل 0
وإذا نظرتَ إلى قدرة البحار والرياح والأكوان الستة فقل هي لها نسبيّاً كالظلِّ للجسمِ وكالنَّظر للعين ، وهي مستعارة في المخلوقات كاستعارة حرارة الزجاجة عند مقابلتها ضياء الشمس، فإن لم تقابل الشمس فلا حرارة للزجاجة ولا ضياء لها، وكذلك المخلوق ليس له شيءٌ بذاته فلو كانت قدرته وحياته وعلمه وإرادته ذاتيَّة له يمتلكها ويقوم بها بنفسه لكان غنيَّاً بها عن سواه ولكان ما مات ولا جُهل ولم يقبل بذهاب وجوده منه0
وقد روي عن مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة أنَّه سأل رجلاً وقال له : إنَّ القدرة التي تملكها مع الله أو من دون الله فلا تقلْ أحدهما ، فإن قلته قتلتُكَ 0 قال الرَّجل وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال له: قل أملِكها بالله ، فإن شاء ملَّكني إيَّاها ، وإن شاء سلبها منِّي 0
وكما قيل : إنِ القدرة في الله ذاتيَّة ، وفي غيره مستعارة ، فتبارك الذي بيده الملك وهو على كلِّ شيءٍ قدير 0
تم الباب الثالث عشر
لقد تكرَّم عليَّ بالفضل من كنتُ آنساً به وكان بي رؤوفاً ولي مربياً وعطوفاً، شمس العرفان ، وعلاَّمة هذا الزمان ، وأشهر أعلام بني حمدان العلاَّمة الشيخ كامل الصالح ديب علي معروف ، اللهمَّ اسكنه فسيح الملكوت لقد صحَّحها لي ونسَّق ألفاظها وبقيت عنده مدةً ثمَّ عاجله الأجل عليه سلام الله ، ولقد كان حامي حوزة الدين ، ومدافعاً عن الدين وقواعده من هجمات المتشيعين تجار الدين ، وقد كثر خصومه، رفع الله في الخلد مقامه 0
لقد كان لي مرجعاً وحبيباً وأنيساً وكانت أفضاله عليَّ بالزيارة كثيرة، وانطبعت ببعض فلسفته وروايته، وقد كان يعلم أكثر أحبائه أنَّه محبَّاً لي ومخلصاً حتى غاب بدرا الزمان وشمسا العرفان المؤمنان العالمان شيخا ذلك العصر والزمان وهما : الشيخ الفيلسوف العلامة الشيخ كامل الصالح معروف ، والشيخ الفقيه ومن هو عند الله وجيه الشيخ عبد الهادي حيدر أبو قبيس عليهما سلام الله ورحمته، فلما غابا ذلك القمران كان كما قال الله تعالى: وآيةٌ لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون *(يس37)أظلم الخلق لما غاب العلماء الحكماء ولم يبق لهم مثيل ولا عنهم بديل ولزم الأولياء الصمت والأمر يومئذٍ لله0
الفقير لله تعالى يونس علي يونس حسين(المسقس9)
سنة 1405 هجرية /1985 ميلادية
يرجى ممَّن يعثر على خطأ أن يعلمنا به ليصار إلى تصححيه وله ولنا جزيل الثواب

0 الفقير لله تعالى : مرعي شاهين – القبو